283

HARLEQUIN

روايات أحلام

الحب لا يكذب

كارولين اندرسون

www.elromancia.com
مرمورية

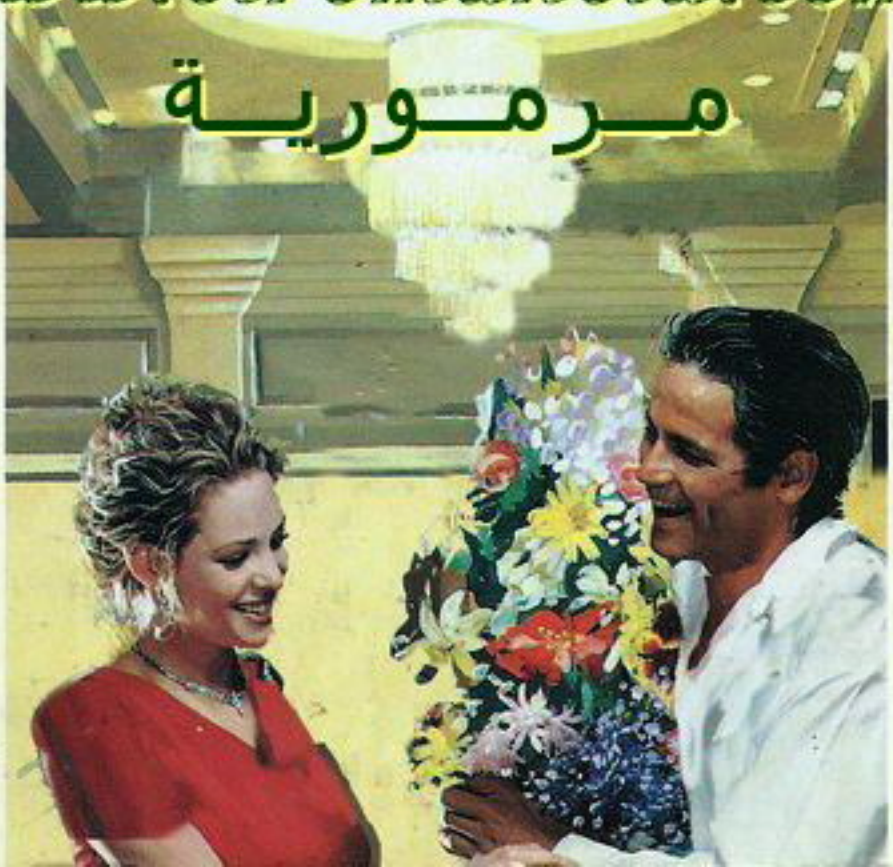

الحب لا يكذب

تنبهت ليديا يوم زفافها إلى أنها لم تسمع جاك يقول لها كلمة · أحبك · السحرية التى تحلم بها كل فتاة .
فتركته ورحلت ..
لكن بعد سنة , زواج آخر أعادها إلى بلدتها , زواج شقيقتها الوحيدة ,فعادت لتجد أن جاك هو الاشبين .
فهل كل ما جمعهما انتهى حقا ؛ وهل ستتمكن من الوقوف أمام المذبح مع الرجل الذي تحب , كوصيفة وليس كعروس ؛أم هل ستجد الفرار ملاذها الوحيد مرة ثانية ؛

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
		مصر	8جنيه
		المغرب	15درهم
		تونس	2دينار
		عمان	1ريال

ISBN 9953-1

10
S.R.
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
ريال

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Impetuous Bride
First published in Great Britain 2001
Harlequin Mills & Boon Limited
© Caroline Anderson 2001
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 131 - 8

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

١ ـ جسور الماضي

ـ شكراً.

وأغلقت ليديا باب سيارة الأجرة ثم تراجعت رافعة حقيبتها على كتفها واستدارت نحو المنزل يغمرها مزيج من الرغبة والرهبة. خيّل إليها أن الزهور البادية من واجهة المنزل ترحّب بها وكذلك أطر النوافذ البيضاء التي يعزّز تألقها، القرميد الزهري العتيق. هبّ نسيم في البحيرة عبر المروج مداعباً بشرتها حاملاً معه شذا الزهور البرية. نظرت ليديا من خلال الضباب الذي يغلف أشجار الصفصاف إلى البحيرة وتنهدت مفكرة: «ما أحلى العودة إلى المنزل».

لقد غادرت منزلها في شهر حزيران أي قبل سنة، من دون أدنى التفاتة إلى الوراء. وها هي اليوم، تعود لحضور زفاف شقيقتها ميلاني. ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة فيما اتجهت نحو المنزل ممسكة بحقيبتها الثقيلة التي ترتطم برجلها عند المشي.

أمر واحد فقط بدا مختلفاً. لم يكن هناك كلب ليثب من حولها، لاعقاً يدها، في محاولة لكسب اهتمامها. كان الوضع غريباً عليها فمنذ شهرين، غفا «محبوبهم» «موللي» ولم يتمكن من الاستيقاظ فشعرت بالغربة والفراغ.

كان باب المطبخ مفتوحاً فسُرّت للأمر لأنها لا تحمل مفاتيحها. لكنهم عادة لا يقفلون باب المنزل، وإذا حصل ذلك فإنهم يخفون مفتاحاً

www.elgamela.com

على الرف المخصص لبائع الحليب فوق العتبة.

دخلت ليديا من الباب ملقية بحقيبتها أرضاً، واتجهت نحو الثلاجة وفتحتها. كانت بحاجة إلى شراب منعش قبل أي شيء آخر.

أما جايك فكان يعلم أن هذا سيحدث طبعاً وأنها ستعود لحضور زفاف ميلاني إن لم يكن لشيء آخر. وكان هو مستعداً نفسياً لذلك، مستعداً لرؤيتها ثانية ومهيئاً نفسه لمواجهة هذا اللقاء.

أو على الأقل حسب نفسه مهيئاً. ومع ذلك، انتفض جسمه للحظة أبدية ثم عادت إليه الحياة. خفق قلبه وجف حلقه وانقبضت أحشاؤه وهو يتأمل الجينز الممزق فوق ساقيها السمراوين وقد انتعلت صندلاً جلدياً... لم تكن ساقاها هزيلتين بل نحيفتين بشكل لا يصدق. على أي حال، بدتا أنحف مما كانتا عليه. كان قميصها واسعاً وفضفاضاً لكنه استطاع أن يلاحظ أنها فقدت شيئاً من وزنها رغم ذلك. هل كانت مريضة؟؟

• اهتمامه بصحتها أنساه رغبته فيها فضلاً عن خليط المشاعر المعقدة الذي يهدد بخنقه. كانت قد تناولت إبريق عصير الليمون وبدأت تصب كوباً عندما تنبهت إلى وجوده فارتعشت يداها ووضعته على الطاولة بفظاظة.

ناضلت لترسم على وجهها ابتسامة شبه يائسة وهمست اسمه ببساطة: «جايك... كيف حالك؟».

لم يتوقع هذا. لم يكن مهيئاً لسماع صوتها الناعم، البطيء والمغري الذي سكن أحلامه. بادلها جايك التحية محاولاً إخفاء مشاعره: «أنا بخير وماذا عنك؟ هل أمضيتِ نهاراً جيداً. كنا نتساءل عن موعد قدومك».

هزت رأسها والتقطت الكوب الفارغ بين أصابعها وأردفت تقول: «لا بأس على ما أعتقد. الرحلة طويلة، تخللتها استراحات وهكذا دواليك... تسعدني العودة إلى المنزل».

ـ والداك في غرفة الجلوس بصحبة ميلاني وطوم، سيغضبان مني إذا

ما علما أنني سبب تأخيرك. يستحسن أن تذهبي لموافاتهم.

أومأت ليديا موافقة، ووضعت كوبها جانباً ثم خطت نحو العتبة حيث وقف جايك. ترددت لحظة في المرور قربه لأنه لم يتحرك من مكانه.

لم يستطع جايك أن يحدد سبب بقائه. شعر أنه لا يود أن يرحل. تردد قليلاً قبل أن يرحب بها قائلاً بنعومة: «أهلاً بك في بيتك يا ليديا».

تجاوزها وخرج من الباب الخلفي إلى نور الشمس. تنفس جايك ملء رئتيه الهواء العذب وأغمض عينيه.

ظنّ أنه نسيها حقاً ولكن هذا لم يكن صحيحاً. ما زال يريدها كما في السابق وربما أكثر.

فكر في سره ساخراً بأنّ ما من شيء يضاهي القليل من حرمان الذات والانضباط لينمو الحب أكثر. ولكنها عادت وعليه تقبُّل ذلك.

حسناً... حسناً إنه قادر على ذلك. فعلى ما يذكر، هي التي رحلت في الماضي وقد تعاود الكرة. كانت مشكلة كبيرة ولن يقع مجدداً في حبائلها... مطلقاً.

تسمّرت ليديا في مكانها للحظات طويلة. كان عليها أن تتوقع وجوده هنا وتأثيره القوي عليها، فهي تعلم أنه سيحضر الزفاف ولكن لم يخطر لها أنها ستجده في منزل ذويها، يتسامر معهم. يا الله!

صحيح أنه يسكن في المنزل المجاور ولكن... لا بد أن يكون موجوداً فهو صديق طوم الحميم منذ الطفولة.

ـ أين أنت يا جايك؟ آه عزيزتي!

وجدت ليديا نفسها في أحضان أمها. وفي لحظات حضر الباقون، بعضهم يضحك، والبعض الآخر يبكي أو يعانقها ثم تنبّه طوم إلى غياب جايك فقال محدّقاً في الباب من فوق كتف ميلاني: «هل رحل جايك؟».

أومأت ليديا بالإيجاب موضحة: «كان يهم بالخروج عندما التقيته».

ونظرت بدورها إلى الباب مذهولة. تصوّرت أنه كان راحلاً أم لعله

رحل بسببها؟

وساد صمت ثقيل قبل أن يعانقها والدها مجدداً معلناً: «كم أنا سعيد بعودتك إلينا يا صغيرتي. هل أنت بخير؟».

طمأنته ليديا بنبرة كاذبة: «أنا على ما يرام. لا تقلق».

وحوّلت انتباهها إلى عائلتها إذ تأبطت ذراعي والدها وشقيقتها مطمئنة إياهما: «أنا بخير تماماً. ما أحلى الرجوع إلى البيت! أما الآن فأود سماع تفاصيل تحضيرات الزفاف. هيا، أخبراني كل شيء».

ضحكت ميلاني بثقة: «سيكون زفافنا عائلياً».

وعبست ميلاني فغضّت ليديا وتذكرت المجهود الذي بذلته أختها السنة الفائتة في التحضير لزفافها رغم أن ليديا كانت تعي أنه ليس الزفاف الذي تحلم به: موقع الحفل قرب البحيرة، الزهور، المقاعد المزينة والطاولات المزدانة بأفخر الأغطية البيضاء، الأواني الفضية البرّاقة. لطالما حلمت ميلاني بإحياء زفاف مماثل.

كانت ليديا تحلم بزفاف تحت شجرة الصفصاف يحضره عدد قليل من المدعوّين ويليه غداء خفيف قرب البحيرة. وبدلاً من ذلك، ناقشت أمها وشقيقتها الموضوع وأجمعتا على إقامة غداء كامل من ثلاثة أطباق وانصرفتا إلى إعداد الأماكن ولائحة كاملة بالمدعوين.

أذعن جايك مبتسماً لاقتراح والدتها فعجزت بدورها عن المعارضة.

اليوم، ستتكرّر المسرحية نفسها وكأنها مزحة سمجة ولكن الأدوار ستتبدل ولن تسدل الستارة قبل نهاية المشهد الأخير.

سيكون عليها وجايك أن يحتملا مهزلة زفافهما وسيتظاهران بالحماسة والفرح من أجل من يحبون. تمنت فجأة لو أنها بقيت شهراً إضافياً خارج البلاد على أن تعود بعد انتهاء الزفاف.

قطعت أمها حبل أفكارها، فقالت: «والآن، حدّثينا عن أسفارك. كانت أخبارك تردنا بإيجاز أيتها الشقية».

وعبست ليديا قائلة: «آسفة. كنت بحاجة ماسة للرحيل».

- نحن نتفهم هذا والآن أخبرينا كل شيء. من أين أتيت الآن؟ لم نستطع أن نتتبع أخبارك.

- من أستراليا مروراً بسنغافوره. لقد عرّجت عليها لرؤية بعض الأصدقاء.

استوضحها والدها قائلاً: «إذاً أطلعينا على أخبارك. ذهبت في البداية إلى تايلندا حين أوصلتك إلى المطار، أليس هذا صحيحاً؟».

أومأت بالإيجاب قائلة: «أجل، هِمْتُ على وجهي مدة شهر محاولة تصفية أفكاري ثم اضطررت للرحيل إذ لم يكن لديّ رخصة إقامة. عندئذٍ، ذهبت إلى الهند وعملت في فندق ثم ذهبت إلى سنغافورة وبالي ومن هناك إلى أستراليا فنيوزيلنده ثم عدت إلى أوستراليا حيث عملت لأكسب رزقي ولأحصل على سقف يحميني!».

وأغمضت أمها عينيها: «تبدو رحلة خطرة».

كانت رحلتها محفوفة حتماً بالمخاطر لكنها لن تخبر أمها عن ذلك السائح المجهول الذي حاول الاعتداء عليها في الهند ولا عن تلك الفتاة التي سلبتها مالها مبقية على أوراقها الثبوتية والثياب التي ترتديها، لذا أضافت بابتسامة: «كانت رحلة ممتعة».

وتجاهلت العمل الشاق والجوع الذي أضناها والبؤس الذي عانت منه وفكرت في سرّها أنّ كتمانها هذه الأخبار، لن يؤذي مشاعرهما. لقد اختارت على أيّ حال وتعلمت دروساً قاسية في الحياة لكنها خرجت منها معافاة.

علّق والدها على شجونها متفحصاً ساقيها: «أنت نحيلة جداً يا ابنتي».

وضعت ساقيها تحتها ضاحكة بخفة: «هراء! لقد اكتسبت بعض السمرة. والآن، أخبروني كيف تسير الأعمال؟».

وجهّت كاري سؤالها إلى أمها محاولة تغيير دفة الحديث.

- بشكل عظيم! لقد أنجزنا العديد من المشاريع، منها قاعة دانهام التي

كنت ستحبينها. وقمنا بترميم مطبخ أثري جميل وغرفة طعام مذهلة التقطت لها صوراً سأريك إياها لاحقاً... يجب أن أتصل ببائع الزهور قبل أن أنسى لمناقشة بعض التفاصيل. عزيزي ريمون، هل يمكنك أن تساعدني أرجوك؟ أمامنا أسبوع واحد وعلينا حل هذه المسألة.

وتذكرت ليديا السبب الذي حملها على العودة، إثر مغادرة والديها، فنظرت إلى ميلاني وطوم الجالسين بارتياح على الأريكة. كانت ذراعه موضوعة بتملك على كتف ميلاني فتنهدت بعمق. لن تحسدهما على السعادة التي تغمرهما إذ كانت على قاب قوسين منها قبل أن ترحل بعيداً.

سألتهما بلهجة مرحة: «إذاً يا عصفوري الحب. متى قررتما الارتباط؟».

ـ منذ نحو سنة.

أقرّ توم مبتسماً: «عندما التقيتها للمرة الأولى خلال تحضيرات زفافك نظرتُ إليها مرة واحدة وأدركت أنها فتاتي».

تمنّت ليديا لو أنها وثقت بجايك كما تثق ميل بطوم. ومازحت ليديا طوم بالقول: «تتبع أسلوب أهالي الكهوف».

عندئذ، ابتسمت ميل لطوم: «آه... أحب أسلوب رجال الكهوف! أعشقه عندما يغدو مسيطراً. أدعه يشعر بأنه السيد وهو يستمتع بذلك».

وضحكت ليديا لابتسامة طوم العريضة، لقد خمّنت أن خفة ظل شقيقتها دخلت قلبه الصادق من دون استئذان. تمنت ليديا لو أنّ الوضوح ساد علاقتها بجايك، ولكنهما لأسباب مجهولة، حافظا على سطحية علاقتهما ولم يصلا إلى مرحلة الحميمية. ربما لو تصارحا و عمّقا معرفتهما ببعضهما البعض، لأدركت إذا كان يحبها.

نهض طوم قائلاً: «يجب عليّ الذهاب للاهتمام ببعض الأمور مع جايك. سأعود لاحقاً... انضمي إلينا على العشاء، يا ليديا، فنحن ذاهبون إلى مقهى جديد في البلدة».

ـ نحن؟

ـ نحن وجايك.

وفركت ليديا أنفها قائلة بتردد: «لست أدري... ربما لا يرغب في حضوري».

طرفت عينا طوم قائلاً: «لا تكوني سخيفة. كانت زوبعة في فنجان وأنا واثق من أنه لن يمانع».

ترددت ليديا، فعندما يتعلّق الأمر بجايك لن تكون واثقة أبداً... ولكنها وعدته قائلة: «سأفكر بالأمر».

ودع «ميل» بلطف وخرج تاركاً الأختين بمفردهما للمرة الأولى.

بادرتها شقيقتها بأسلوبها الجريء المعتاد بعد أن تفحصتها: «تبدين بحال مزرية. لقد نحفت كثيراً؛ وعيناك مرهقتان حزينتان. هل عانيت بما يكفي السنة الفائتة؟».

انهمرت الدموع من عيني ليديا من دون سبب وجيه. وفي ثوانٍ، دنت ميل من كرسيها وأحاطتها بذراعيها. يا الله! كم تاقت أن يضمها شخص ما يحبها فعلاً بين ذراعيه ليواسيها فأحاطت بدورها خصر ميل وعانقتها مضيفة: «تسرني العودة إلى المنزل».

ناولتها ميل منديلاً وأبعدت خصلات شعرها عن جبينها ثم سألتها بلطف: «هل ستكونين على ما يرام بصحبة جايك؟».

هزت ليديا كتفيها: «لا أدري، لطالما اعتقدت ذلك ولكن رؤيته اليوم جعلتني حائرة. هل علقّ على خبر عودتي؟».

نفت ميل بإشارة من رأسها موضحة: «ليس تماماً. حسناً، لم يفعل أمامي أو حتى أمام طوم بدليل كلامه معك للتو. لا أعتقد أنك سترينه كثيراً إذا كنت لا ترغبين بذلك».

حسناً، إذا كانت لا ترغب في ذلك... ولكن المشكلة أنها لم تعد متأكدة من أنها لا تريد رؤيته. لقد اشتاقت له كثيراً السنة الماضية وقد استرجعت الأحداث في ذهنها لمجرد رؤيته. اليوم، جهدت للسيطرة على موجة أخرى من البكاء ثم استقامت متسائلة: «هل هو... حسناً... أنت

تعرفين؟».

ـ مرتبط بأخرى؟

أكملت ميل بابتسامة متفهمة ثم أردفت قائلة: «كلا. لا أعتقد ذلك. لأخبرني طوم لو كان يعرف. كان يقيم في أغلب الأوقات في لندن ولم يأتِ إلى هنا إلا نادراً وكذلك طوم طبعاً. لكنني أمضيت معه الكثير من الأوقات في لندن عندما كانت أمي تسمح لي بذلك وهذا لم يكن يحصل غالباً. كان العمل مزدهراً السنة الماضية، وهي بالمناسبة فرحة بعودتك».

ثم حدقت ميل إليها بتمعن وسألتها: «لقد عدت للإقامة معنا. أليس كذلك؟».

هزت ليديا كتفيها: «لا أدري. ربما ولكنني لا أعلم ما إذا كنت سأمكث طويلاً هنا، مع وجود جايك في المنزل المجاور».

ـ حسناً. هذه ليست مشكلة فالمنزل معروض للبيع وهو ينقل أمتعته بعيداً.

شعرت ليديا كما لو أنّ زلزالاً ضرب عالمها فصرخت مستنكرة: «ماذا؟ ماذا سيفعل؟».

رددت سؤالها لفرط الصدمة ثم أدركت أن الأحاسيس التي انتابتها عند العودة إلى المنزل مرتبطة بجايك. يستحيل عليه الرحيل فهي لن تراه ثانية.

ـ سيقيم في لندن كما قلت فهو نادراً ما يأتي إلى هنا.

لن يأتي إلى هنا! يا إلهي، فكرت ميل في نفسها وهي تربت على كتف ميل قبل أن تتجاوزها قائلة: «سأقوم بنزهة».

دخلت المطبخ كالمسيَّرة، ومرّت في المكان الذي التقته فيه، وتجاوزت عتبة الباب حيث طلب يدها منذ سنة خلت. لقد حوت الغرفة الكثير من أمانيها وأحلامها التي كبرت وتحوّلت بعدئذ إلى حطام من حولها. مرّت بالحديقة، واطئة العشب الأخضر تحت قوس الورد واتجهت نزولاً إلى حيث الزهور البرية قرب البحيرة حيث ستنصب المنصة قبل أيام معدودة من الزفاف.

ما زالت شجرة الصفصاف التي تحبها هناك، بأغصانها المتدلية في المياه. مالت نحو جذعها وتنهدت تنهيدة عميقة... لا يستطيع الرحيل.

وغابت البحيرة عن عينيها فيما انزلقت أرضاً وافترشت العشب الندي وأسندت رأسها على الشجرة مغمضة عينيها. انهمرت دموعها فتمنت لو تستطيع إعادة الزمن إلى الوراء وتغيير مسار السنة الماضية.

ربما لو تزوجته، لو أنها أعطته فرصة، لتخلصت من شكوكها ومخاوفها. ربما كانا ليتعلما أن يتصارحا وأن يفتح كل منهما قلبه ويجرؤا على البوح بمشاعرهما.

ربما كان الفرح والرضى ليتملكاها بدلاً من الألم المزمن الرتيب الذي ينهش فيها. أدارت رأسها ونظرت باتجاه منزل جايك، فرأته واقفاً قرب البحيرة على الجهة الأخرى من السياج، يراقبها. كان بعيداً جداً بحيث يعجز عن رؤية دموعها ولكنه رفع يده ملوحاً ثم استدار بعيداً.

ودّت لو تلحق به وتسأله عما إذا كان يحبها فعلاً، أم أنه استسلم بخنوع لترتيبات الزفاف. ولكنها لم تتحرك من مكانها، بل جلست هناك وراقبته يرحل حتى طفرت الدموع وأعمت عينيها مجدداً.

ماذا تفعل هناك؟ وقف جايك للحظات يراقبها متكئة على الشجرة، رافعة وجهها إلى الشمس المتسللة بين الأغصان. كان يتوق لاحتضانها.

فحدّث نفسه قائلاً: أنت مجنون. إنها لا تصلح لك، فهي ليست سوى فراشة جميلة وستموت حتماً إذا قُيدت كما لو غُرس دبوس في صدرها.

نظر إلى ساعته. سيأتي أحدهم لمعاينة المنزل في الرابعة أي بعد ساعة من الآن. عليه الذهاب لتنظيف المطبخ، هذا المطبخ الذي صممته وأثثته ليديا كما لو كان يخصها.

كل ركن يذكره بها، كل تفصيل متقن، كل فكرة ذكية تنطق باسمها.

أمر واحد حمله على البيع وهو عودتها...

فرؤيتها في الجوار يوماً بعد يوم، وسماع تلك الضحكة المغرية أو

رؤيتها تسرع نحو سيارتها بقوامها الرشيق أمر لا يحتمل.

لطالما حلم بها وبحبها.

تنهد بنفاد صبر فنظرت نحو الأعلى... إليه مباشرة. لا شك أن المسافة التي تفصل بينهما حالت دون قراءتها تعبير وجهه. ولكنه لم يستطع البقاء هناك خوفاً من أن تقترب منه وتقرأ نداء عينيه.

رفع يده ملقياً التحية واستدار مبتعداً! قفل راجعاً إلى المنزل بقلب مثقل. لم يكن يفترض به أن يدعها تفعل هذا به. فهو لا يحب التذلل أو استعطافها بقوله إنه لن يقوى على الحياة من بعدها.

عليه أن يحتمل هذا الوضع أسبوعاً. فموعد الزفاف هو السبت المقبل أي بعد أسبوع من اليوم، وبعدئذ، لن يكون مضطراً لرؤيتها ثانية. يمكنه مغادرة المنزل وسينقل الحمّالون الأمتعة التي يريدها إلى لندن أما الباقي فيمكن بيعه.

ربما حينها، سيتمكّن من متابعة حياته.

* * *

ـ ليديا؟ الليلة؟

هز جايك رأسه بإشارة حسبها عادية وحاول تجاهل الألم المفاجىء الذي اعتصر قلبه، ثم أردف قائلاً: «طبعاً... ولمَ أمانع؟».

فأجاب طوم: «حسناً، هذا ما قلته. فأنتما ستريان بعضكما هذا الأسبوع في شتى الأحوال، لذا من الضروري أن تعتادا على الفكرة».

طمأنه جايك آملاً أن تسير الأمور على خير.

ـ طبعاً طبعاً، ما من مشكلة. كيف تسير ترتيبات الزفاف؟

ـ بشكل جيد. هناك الكثير لإنجازه لكن الوضع ليس سيئاً بالشكل الذي يمكن أن يكون عليه.

فكر جايك بغرابة. سيئاً! هل هكذا تصوّر الجميع زفافهما المأساوي؟

فأشار: «يمكن أن يكون قضية سهلة».

عندئذ، ضحك طوم بفظاظة، وقال:

ـ ليس بوجود ميل؟ أبداً. ففتاتي العزيزة تريد قرع الأجراس وحصد الإعجاب وهذا ما ستحصل عليه. يبدو أنه تقليد عائلي.

إلا أن ليديا بدت يائسة من تلك الترتيبات، أو منه؟

حار جواباً فهو لم يتوقف عند هذه المسألة، فسأل طوم: «في أي ساعة سنخرج؟».

هز طوم كتفيه: «السابعة والنصف! الطاولة محجوزة للثامنة والنصف. ولكن، يمكننا شرب بعض العصير في البداية».

ـ جيد، سأكون جاهزاً. حسناً، ضع فنجانك في الجلاية واخرج من هنا. لدي زوّار سيأتون لمعاينة المنزل في غضون عشر دقائق وأحتاج إلى تفحصه. بالمناسبة، ما وضع غرفتك؟

ـ مرتبة. يا إلهي يا رجل. أنت مثير للإزعاج.

ـ إذهب وتفحصها.

حياه طوم واقترب من الجلاية ملقياً فنجانه ومحدثاً قرقعة ثم سار بتمهل في البهو. هز جايك رأسه، وأدار الجلاية مجدداً ثم ألقى نظرة فاحصة على المكان وتوجه إلى القاعة.

على زاوية الطاولة، وضع إناء ضخم يحوي زهوراً ندية وكانت الشمس تتسلل من نافذة غرفة الجلوس فبدت مشرقة. سمع طوم ينزل السلم مسرعاً وهو يدندن.

فبادره متسائلاً: «حسناً؟».

ـ ستصعقهم نظافتها.

ولكمه طوم بمحبة على كتفه ثم خرج من الباب الخلفي، فيما راح جرس الباب يرن.

.... لا شك أن الثنائي أحبا المنزل. فكل من يراه، يحبه. من الواضح أنهم سيتهافتون عليه. توقّع (السمسار) أن يباع بسهولة في غضون أسبوع أو اثنين.

حسناً، لن يبقى معروضاً للبيع على الأقل.

فكر طوم بكآبة مغلقاً الباب وراء الزوار عند الخامسة من بعد الظهر. أرادا تفحص كل شيء مرات عدة، لذا تركهما يجولان بمفردهما قبل أن يضطر لسماعهما يثنيان على المطبخ مدة عشر دقائق. كل تفصيل دقيق لحظته ليديا استرعى انتباه تلك المرأة، بدءاً بالتصميم للخزائن الذي يتيح إدراك جميع محتوياتها وانتهاءً بالمكان المخصص للصواني.

إنه تصميم ضخم وعملي مزوّد بلوحة من الغرانيت لصنع المعجنات ومثبتة فوق خشب الماهوغاني. كما للوحة فرم الخضراوات مكانها أيضاً.

لقد أحبت المرأة كل شيء فيه. فأطرت على المجلى الكبير تحت النافذة المسقوفة بالقرميد المزخرف وعلى حجرة الطعام المزينة بالرفوف المليئة بالمؤونة.

كل تفصيل، كل مقبض، تم تفحصه ولمسه بإعجاب.

كما أبدت المرأة اهتماماً جلياً بالمساحة المعزولة قرب الفرن، فشرح لها جايك وجهة استعمالها: «إنه سرير الكلب».

طرفت عينيها متأملة المكان ثم التفتت إليه قائلة: «أهذا صحيح؟».

ـ يجوز استعماله نظرياً. ولكنني اضطرت لقضاء معظم الأوقات في لندن ومع ذلك فإنني لا أعتقده مكاناً ملائماً للكلب.

ـ أمر مؤسف. لأحب كلبنا هذا المكان. يا لها من فكرة ذكية، فقد تحصل يوماً ما على كلب.

قام جايك بالشيء الوحيد الذي يقدر عليه، إذ ابتسم وحاول كبت صرير أسنانه.

رحلا أخيراً بعد قيامهما بجولة أخيرة في الطابق العلوي. وعندما أصبح وحيداً، توجه إلى غرفة الجلوس واستلقى على كرسيه المفضل ثم تنهد.

لم كان عليها أن تعود بحق الله؟

لم تكن ليديا متأكدة من رغبتها في الخروج، فقد أوت إلى الفراش في الثالثة والنصف وغرقت لدهشتها في نوم عميق حتى السابعة مساءً.

وها هي ميل جالسة الآن على سريرها ممسكة بفنجان شاي بيدها، لتحثها على النهوض. فالخروج سيعود عليها بالفائدة كما أن الوقت المتبقي أمامهما قبل أن تتزوج أختها قصير جداً.

لم يكن هذا شعور ليديا. فالأسبوع القادم سيمتد إلى ما لا نهاية. بحسب تقديرها، لن تجد طريقة ليمر الوقت بسرعة.

وبما أن الوضع لا مفرّ منه، عليها أن تتكيف معه. لذا، نزلت من السرير وحملت فنجان الشاي في يدها.

وافقت ليديا معلنة: «سآتي. ولكن هل اللباس رسمي؟».

ـ كلا سأرتدي بنطلوناً عادياً من الحرير.

وفكرت ليديا قليلاً ثم قالت: «لدي سراويل عادية. هذا كل ما أملك».

ـ ولكن لديك أطنان من الثياب هنا.

ـ غير أنّ أياً منها لا يلائمني لأنني نحفت يا ميل.

ـ لست شديدة النحافة. لنرى، أنظري إلى هذا الثوب فهو جميل وملائم. ارتدي هذا.

إنه فستان جايك المفضل. آه... يا إلهي. تنهدت ليديا ملقية الفستان على السرير وتوجهت إلى الحمام قائلة: «حسناً، أمهليني خمس دقائق».

استغرقت أكثر بالطبع لأن شعرها كان بحاجة للغسل. ولحسن الحظ، غطت السمرة التي اكتسبتها الهالات السوداء تحت عينيها. وضعت شيئاً من الظلال الرمادية والقليل من الماسكارا فضلاً عن أحمر الشفاه الزهري اللمّاع قبل أن ترتدي فستانها.

رباه! هذا هو الرداء. ومن بين كل الأثواب التي لديها، لِمَ اختارته؟

وتمنى لو أنها ارتدت فستاناً آخر، فستاناً لا يثير لديه كل هذه المشاعر والذكريات.

ـ عظيم. هل نحن جاهزون؟

طرح طوم سؤاله وهو ينظر إلى ميل فأومأت ليديا: «أتضوّر جوعاً وأمقت طعام الطائرات».

ثم تثاءبت قبل أن تعتذر ضاحكة: «آسفة. كنت في الفراش فجرتني ميل منه منذ نصف ساعة».

في الفراش، ممتاز! هذا ما يناسبه تماماً. سيجعل من نفسه أضحوكة حتماً بعد سماعه تصريحها. وشد بقوة كنزته القطنية نحو الأسفل آملاً ألا يزداد الحر في المطعم.

كان الجو مشحوناً وبذل ميل وطوم ما بوسعهما لإزالة التوتر. ولكن ليديا كانت شديدة الإعياء فلم تستطع المشاركة في الحديث، أما جايك فاكتفى بشرب العصير بعناد وبدا صامتاً مبتهجاً.

ما إن قُدّمت القهوة حتى تمدّد جايك على كرسيه ووضع ذراعه حول ظهر كرسيها. نظر إليها بحزم غير مبرّر فيما كان يرتشف قهوته المرّة ثم قال: «إذاً، أخبرينا يا ليديا. هل وجدت نفسك في تلك الرحلة البوهيمية؟».

ردّت ليديا محاولة تجاهل برودة نبرته: «رحلة بوهيمية؟ لقد التقيت أناساً مشوقين وطيبين فعلاً. أقمت العديد من الصداقات وتعلّمت الكثير عن الثقة وعن العمل الجماعي والمشاركة. وأنت؟ ماذا فعلت خلال السنة الماضية؟».

- رفضت المزيد من العروض. جردت جميع الموجودات. تعلمين، هذا النوع من الأمور.

- إذاً، لا شيء مهم.

ألقت ليديا ملاحظتها مكرهة رغم علمها أنها تحاول فقط الدفاع عن نفسها.

ضحك ببرود معقباً على كلامها: «قطعاً لا، إذا ما قارناه بهجرانك خطيبك قبل الزفاف واختفائك عن الأنظار كطفلة غير مسؤولة. أستغرب ألا تعودي مغطاة بعشبة «الباتشولي» أو مزدانة بالعديد من الأقراط في

جسمك».

أغمضت عينيها لبرهة، مترنحة من تأثير هجومه غير المبرَّر عليها. حسناً لعله مبرَّر ولكنه مبالغ فيه. أليس كذلك؟ ويبدو أن طوم يشاركها الرأي إذ استقام في جلسته محملقاً في صديقه وقال: «اذهب إلى الجحيم يا جايك. أنت نقسو عليها قليلاً».

- أحقاً؟ نبذتني هذه المرأة قبل يومين من زفافنا وتنعتني بالقساوة؟ لا أظن ذلك.

أحست ليديا بالحرارة تزحف إلى وجنتيها وراح قلبها ينبض بسرعة وأحست بالغثيان. كان عليها أن تغادر المكان، بعيداً عن سخريته وحقده قبل أن يزيل قناعها ويكشف ألمها.

نظرت بيأس إلى ميل، وقالت:

- إذا كنتم لا تمانعون، سأستقل سيارة أجرة لأعود إلى المنزل. لن أشرب هذه القهوة، كما أنني متعبة. أراكم في الغد.

وقفت مدركة أن جايك الذي كان يهب دائماً في مثل هذه الحالة، بقي مسترخياً في كرسيه يحدّق عابساً في فنجانه.

وعندئذ، قالت ميل بسرعة: «طوم، رافقها إلى المنزل».

فتدخّل جايك فجأة وقد أخرج محفظته من جيبه: «كلا، سنذهب جميعاً. لن يفيدنا التظاهر بالاستمتاع».

رمى النقود على الطاولة وأومأ إلى النادل ثم توجه إلى الباب تاركاً قهوته على حالها.

فسأله النادل بريبة، حائماً حولهم: «هل كل شيء على ما يرام؟».

هدأ طوم من روعه قائلاً: «أجل، ولكننا متعبون. شكراً لك».

قاد طوم ليديا متجهاً بها نحو الباب. لحقتها ميل دافعة جايك، مؤنبة إياه على حد اعتقاد ليديا.

كان يجدر بها ملازمة الفراش وعدم الخروج معهم، فمن الحماقة أن تظن أنّ بمقدورهما أن يتصرفا بتهذيب.

www.elromancia.com

صحيح أن الأمور عادت إلى مجاريها كما يقول طوم، غير أن موجة عارمة اكتسحت الجسر فهدمته!

بدا جايك غاضباً وقد فاجأها شعورها بأنها لا تعرفه حقاً. لكنه لم يكن يوماً ذلك الشخص الفظ والحقود بحسب علمها.

لمَ هو غاضب إذاً؟ إلا إذا كان لا يزال مهتماً بها. وإذا كان يهتم لأمرها إلى هذا الحد ولا يزال حانقاً عليها فهذا يعني أنه ربما أحبها فعلاً.

ربما يعود السبب إلى كبريائه الجريحة. ولكن إذا لم يكن هذا صحيحاً، فهل فات الأوان أم لا زالت الفرصة سانحة لوصل الجسر بينهما؟

حارت ليديا جواباً، فكل ما تعرفه هو أن أمامها أسبوعاً واحداً لإكتشاف ذلك. أسبوع، بدا لها منذ ساعات دهراً أما الآن فتجده غير كافٍ.

***

٢ ـ لمحة ندم

كان جايك في انتظارهم قرب سيارة طوم، لكن ميل نحته جانباً، قائلة:

ـ تستطيع الجلوس في الخلف مع شقيقتي ويمكنك الاعتذار منها بسبب تبادلكما عبارات جارحة أو يمكنك طلب سيارة أجرة. حالياً، لا أدري كيف ستسويان الأمور ولكنني أكون شاكرة إذا استطعتما التصرّف بطريقة حضارية. لا أطلب منكما أن تكونا صديقين، فمن الواضح أنّ هذا كثير عليكما ولكن تستطيعان على الأقل أن تكونا مهذبين.

وانسلت في المقعد الأمامي وأوصدت الباب، تاركة إياهما واقفين قرب السيارة بصمت.

سادت لحظة صمت لا متناهية...

أمسك جايك بمقبض الباب وفتحه لها من دون كلام فصعدت ليديا إلى الخلف وتبعها رابطاً على عجل حزام الأمان ثم نظر أمامه مباشرة. عندئذ، أعلنت ميل: «جايك، ليديا، أنا آسفة».

حدّق كلاهما إلى ميل فردت ليديا بضيق: «لا عليك يا أختي. أستطيع خوض معاركي بنفسي».

ـ رغم ذلك، أعتقد...

وقاطعها طوم قبل أن يدير محرّك السيارة ويرفع صوت الراديو: «يكفي يا ميل».

أدركت ليديا أن جسمها يرتجف وكأنها معلّقة بخيط رفيع واستطاعت

www.elromancia.com

أن تشعر بذبذبات من التوتر صادرة عن جايك. قطعوا مسافة بدت لهما أميالاً قبل أن يتنهد جايك ملتفتاً نحوها قائلاً بضيق: «آسف. لم أكن أنوي مهاجمتك ولكنني أجد هذا الوضع صعباً».

كانت تشاطره الشعور نفسه. وتساءلت لما اقحمت نفسها بهذا الموقف ووافقت على المشاركة بهذه الأمسية. أذعنت راغبة في إخماد هذه الحرب التي اندلعت بينهما، فتصنّعت الضحك ولاح طيف ابتسامة على فمها.

ـ لم أتوقع منك أن تبدو متعقلاً.

لم تكن مجرد ابتسامة بل هدنة وارتاحت لزوال التوتر بينهما. استلقت على مقعدها، مرتجفة من تأثير الصدمة فسرعان ما سيبلغان المنزل. وبعد بضع دقائق، أطفأ طوم المحرك. اقترحت ميل أن يشربوا القهوة معاً رامقة إياهما بنظرة فاحصة وأردفت: «هل تستطيعان احتمال ذلك؟».

ردّ جايك بلهجة جافة وهو ينزل من السيارة ويهم بمساعدة ميل على النزول، تاركاً ليديا لطوم: «أظننا سنتدبر أمرنا».

وربت طوم على كتف ليديا مبتسماً لها باهتمام قائلاً بنعومة: «هل أنت بخير؟».

فركت يديها بسرعة لتدفئهما وشقت طريقها إلى المطبخ قائلة: «أجل، أنا بخير، لندخل فالطقس بارد».

كانت الغرفة دافئة كالعادة وأدارت الغلاّية، واتكأت على الطاولة فيما تلمست يداها الفرن بحثاً عن الدفء.

دخلت أمها المطبخ واستدعت على الفور ميل وطوم تاركةً ليديا وجايك لوحدهما. تنبهت فجأة لوقفتها ولنظرة جايك إليها. يا إلهي، هل اعتقد أنها تتعمّد إغراءه. عقدت ذراعيها على صدرها وتشبثت أصابعها بهما في وضع دفاعي ومنحته ابتسامة حذرة وهمت بالكلام: «آسفة بشأن ميل».

قاطعها بضحكة مقتضبة تفتقر إلى المرح قائلاً: «كلا، كانت محقة وأنا أقدّم اعتذاري فتصرفي غير مبرَّر. لم يكن يجدر بي السخرية منك، فلديك كل الحق بإدارة حياتك بنفسك».

همست بنعومة: «شرط عدم إيذاء الآخرين».

سكت جايك. خلت عيناه من أي تعبير واستدار باحثاً عن الأكواب بشكل طبيعي فتمزق قلبها من الألم. كم مرة شاهدته يقوم بهذا العمل؟

بحثت عن موضوع آخر في محاولة منها لملء الفراغ فسألت: «كيف سارت أمور المنزل، بعد الظهر. كيف كان الزوار؟».

حدجها بنظرة غريبة مذكّراً إياها: «لقد ناقشنا الموضوع خلال العشاء».

تلوّنت وجنتاها.

ـ قصدت، هل أعجبوك؟ هل تريدهم حقاً أن يحصلوا على منزلك؟ فبيع منزل عملت جاهداً للحصول عليه والاعتناء به مسألة حساسة. تريد أن تتأكد من أنه سيكون في أيد أمينة.

أجابها بضيق: «إنه منزل يا ليديا. منزل وحسب».

هزت كتفيها ورفعت الغلاية عن النار واضعة الإبريق الساخن بعناية فائقة وسألته: «قهوة أم شاي؟».

ـ قهوة... شكراً لك.

وضع الأكواب على الطاولة قربها.

كان قريباً منها لدرجة أنها استطاعت تنشق رائحة عطر ما بعد الحلاقة المألوفة لديها. فتاقت لأن يواسيها ولأن تريح رأسها المتعب على صدره والبكاء بحرقة على الحماقات التي تفوّهت بها السنة الماضية.

وعوضاً عن ذلك، ابتعدت عن مدار رائحة عطره وأعدت القهوة بخطوات سريعة ومدروسة.

ـ سآخذ فنجانيهما إلى غرفة الجلوس. أظن أن الحديث سيكون من نوع المحادثات الطويلة التي تستمر زمناً طويلاً.

www.elromancia.com

وضعت أربعة أكواب على الصينية وحملتها إليهم فابتسموا لها مرحبين ثم قفلت عائدة إلى المطبخ.

كان جايك يجلس إلى الطاولة، عاقداً أصابعه الطويلة حول كوبه ومحدقاً في محتواه الداكن كما لو أنه يحوي سرّ الخلود. كان هناك علبة شوكولا بالنعناع فقدّمت له واحدة. هزّ رأسه رافضاً فتناولت منها قطعتين وغمستهما في قهوتها قبل أن تضعهما في فمها. كانت تلك عادة سيئة ولكنها أحبت مذاقهما على هذا النحو ولم تكن تتعمد إثارة انتباهه كما حصل. وقد تنبهت إلى ذلك من نظراته الغريبة. عندئذ، قال بفظاظة: «لقد أعجبوا به».

حدقت إليه بارتباك تام: «هم؟ بمَ أعجبوا؟».

فأوضح لها: «الشراة... أعجبهم مطبخك. علّقت المرأة بحماسة على كل تفصيل صغير فيه. ظننت أنها ستقطع موضع الكلب لتأخذه معها».

ابتسمت ليديا بغرابة: «هل لا يزال في مكانه؟... أعتقد أنه مؤشر جيد».

- بكل تأكيد. فالسمسار يعتقد أنهم سيتوافدون لاهثين لشرائه. يبدو أنه لن يبقى معروضاً مدة طويلة.

أحست ليديا بغصة كبيرة من الندم. كان سيصبح منزلها هي وجايك وسيربيان فيه أولادهما لو تم زواجهما في موعده المقرر ولم يفشل قبل مواجهة أوّل عقبة. قال لها جايك: «ينبغي أن تأتي لتفقدّ المنزل قبل أن يُباع. قمت بالكثير من التعديلات عليه منذ رحيلك. كان حاله مزرياً عندما اشتريته. لا أدري ما إذا كنت تذكرين».

تذكر؟ كيف بإمكانها أن تنسى أنها تجوّلت معه في ذلك البيت الفارغ؟ كانت تشعر بالحماسة لمجرد تفكيرها بتحويل المطبخ القديم والفارغ إلى مطبخ رائع وعصري يكون محور بيته الجميل.

في تلك المرحلة كانت تقوم بذلك من أجله وليس من أجلها هي، من

أجل مجهولة ستغدو زوجته. علّق أنذاك بقوله: «أريد أولاداً، لذا لا أرغب بالبذخ عليه».

فتصوّرت أولاداً، على صورة والدهم بعيونهم الزرقاء وشعرهم الفاحم، ترتسم على وجوههم ابتسامة عابثة ويتردد صدى ضحكاتهم في المكان.

أعادت نفسها إلى الواقع وردّت على دعوته: «أحب رؤيته وأذكره طبعاً. سيكون مثيراً أن أرى ماذا غيّرت فيه».

ردّت بقلب منكسر أيضاً، إلا أنها لم تشأ أن تبدو كأنها هجرته مهما كانت المسألة حسّاسة. كما قد تكون هذه الزيارة آخر فرصة لها لرؤيته فسألته: «متى؟».

هز برأسه وسألها: «هل يناسبك في الغد؟ تعالي للفطور. لن تنامي طويلاً مهما كنت متعبة. لا أعتقد أنك ستكونين قادرة على الاستلقاء. اتصلي بي وسأحضّر لك فطوراً».

نظرت إلى عينيه فظنت للحظة أنها رأت لمحة من الرجل الذي عرفته ولكنه سرعان ما تبخّر.

همست: «شكراً لك. سيكون ذلك جميلاً ولكن لا تنتظرني فقد أطيل النوم. من يعلم؟».

طمأنها وكأنه يعدها: «سأكون في البيت».

لا بد أنه جُنَّ، إذ لا يمكنه البقاء معها في الغرفة نفسها من دون استرجاع ما راود خياله. ومع ذلك ها هو يدعوها مجدداً لتناول الفطور. بحق الله! ليس لشرب القهوة أو فنجان من الشاي بل لتناول الفطور، الوجبة الأكثر حميمية، وجبة لم يتشاركا بها أبداً في السابق.

لقد جُنَّ، لا بد أنه فعل. فإدخالها مجدداً إلى منزله وملء كل ركن وكل زاوية منه بصورتها آخر شيء يحتاجه ولكنه لم يحفل... كما لو أن تلك المشاهد لن ترافقه لسنوات لأن المنزل سيباع وهي لم ولن تدخل شقته الجديدة في لندن.

أقنع نفسه بأن هذا مجرد تعذيب مؤقت، يشبه الجَلْد. ولو كان ذكياً لتفاداها كالوباء ولكنه كان ضعيفاً وغبياً ليتنحى بعيداً.

شرب قهوته ونهض، بعد أن رآها منحنية فوق الطاولة تحاول إبقاء عينيها مفتوحتين بعد رحلتها الطويلة.

قرر الذهاب ليس بداعي الاهتمام بها... ولكنه مع هذا بقي مهتماً بها لسبب سخيف ما.

وأعلن فجأة: «أنا ذاهب. اذهبي إلى النوم واتصلي بي في الصباح الباكر».

نهضت بدورها ورافقته إلى الباب. فهمس لها:

ـ نامي جيداً يا أميرة.

ولام نفسه على لهجته الودّية. مشى نحو منزله عبر زقاق ضيق ينيره ضوء القمر الشاحب. وعاودته صورة قوامها المتمايل بنعومة خلال مشيتها.

ما زال باستطاعته تنشق رائحتها الخفيفة والمغرية وتاق إليها. تباً! خلع عنه كنزته وفك أزرار قميصه تاركاً نسيم الليل البارد يداعب جلده. تباً لها ولقدرتها على السيطرة عليه!

لعله أكثر حماقة مما يعتقد. دخل البيت وصفق الباب خلفه ثم صعد السلالم ثلاث درجات دفعة واحدة. لعل حماماً بارداً يعيد إليه صوابه.

* * *

اتصلت به في التاسعة إلا ربعاً لثقتها بأنه استيقظ. كان دائماً يستفيق نحو السادسة، حسب ما أخبرها في الماضي، فأجاب على الهاتف مع دوي الرنين للمرة الثانية.

ـ نعم.

بدا صوته أجش ومثيراً عند الصباح الباكر ولكنه لم يعكّر صفوها. قالت: «أنا مستيقظة. هل الوقت مبكر جداً؟ أتحرق لفنجان قهوة».

ـ طبعاً لا، تعالي. سأترك باب المدخل مفتوحاً.

رفعت شعرها المبلّل إلى الخلف وفكرت في التبرّج لكنها اقنعت نفسها بسخافة الفكرة. فهي ذاهبة لتناول الفطور وليس لهدف آخر.

ارتدت الجينز، وانتعلت صندلها، ووضعت كنزة على كتفيها خوفاً من البرد في الخارج ثم ذهبت مسرعة إلى منزله. ورغم أنه في الجوار، إلاّ أن رحلتها عبر الزقاق استغرقت بضع دقائق. نسيم الصباح انعش بشرتها، لقد أمطرت في الليل ولكن ليس بغزارة فغدا الهواء بارداً ورطباً مشبعاً برائحة الورود.

كانت الرائحة زكية، أكثر رقة من الروائح الإستوائية الغريبة فأحست ليديا أن التوتر الذي تشعر به خف قليلاً. مع ذلك، دنت من الباب الخلفي يخالجها شعور بالذعر. لقد أعطت الكثير من ذاتها عند تصميم هذا المطبخ والكثير من الحب له في تصميم أدواته. واليوم سترى ماذا أنجز وما الذي سيسلمه لشخص آخر من دون ندم، فالمسألة برمتها تتعلق «بمجرّد منزل» على حد تعبيره ولكن ليس بالنسبة إليها أبداً.

ضربت الباب بيدها ودخلت، فاستقبلتها رائحة القهوة الطازجة اللذيذة والخبز المحمص. ها هو جايك واقفاً قرب المجلى يرتدي جينز باهتاً إلى حدّ البياض عند الركبة والمؤخرة. قميصه ناعم ومرتب، يبرز عرض منكبيه ونحافة خصره.

همس لها مبتسماً حتى كاد قلبها يقفز من مكانه: «أهلاً، ادخلي».

ودخلت ملتفتة حولها في الغرفة المرتبة من دون أي تغيير في تفاصيلها الجميلة السابقة. غمرتها موجة من الحزن فتوجهت لا شعورياً إلى المدفأة بحثاً عن الراحة والدفء وقالت: «هل هناك ما أفعله؟».

ـ كلا، فقد أوشكت على الانتهاء. هناك طبق في الفرن، يمكنك إخراجه.

فتحت الفرن وسحبت طبقاً تكدس فيه اللحم، والنقانق والبندورة والفطر والبطاطا المقلية الرفيعة الشكل، فعلقت بتردد: «يا الله. هل تحضر دائماً الفطور على هذا النحو؟».

وعبس فهوى قلبها.

ـ فقط في أيام الآحاد. طبق البيض المخفوق في المايكروايف ولكنه يحتاج إلى إعادة تسخين.

كبس زرين ووضع القهوة، والحليب والأكواب على صينية بانتظار انتهائه ثم جهز التوست والبيض المخفوق.

وكان يدفعها نحو غرفة الطعام حين صاحت طالبة منه التوقف أمام عتبة الباب: «آه. لقد أنجزت حوض الزهور».

سألها وهو يقف مباشرة وراءها: «هل أعجبك؟».

ترقرقت الدموع في عينيها. كان هذا أحد مخططاتهما، فشعرت بموجة عارمة من الكآبة تتصاعد داخلها وهمست وهي تبلع ريقها بصعوبة: «إنه جميل. حقاً جميل».

ـ إذهبي إلى الخارج. لقد أعددت الطاولة.

وضعت الطبق الساخن على قطعة قماش تتوسط الطاولة الحديدية ونظرت حولها في المستنبت الجميل. لقد طليت جدرانه باللون الأبيض، وتوسّط سقفه مصباح مربع يعود للعصر الفيكتوري ويتفرّد به المنزل. أما النباتات التي تنمو بوفرة عند العتبة الواسعة، فتتفرّع من أوعية ضخمة للزهور وتتسلق حائط المستنبت الزجاجي.

كان أشبه بفردوس استوائي فهزت رأسها بذهول هامسة بتأمل وهي تتحسس ورقة: «لديك موهبة مذهلة».

ـ تبدين متفاجئة.

هزت رأسها، فهذا أمر آخر تجهله عنه واستدارت نحوه قائلة: «إنه جميل».

للحظة، لمحت شيئاً ما في عينيه، شيئاً قد يكون نداءاً لكنه ما لبث أن اختفى وحل مكانه الفراغ فحجب عنها مشاعره.

إلا إذا كانت مخيّلتها الخصبة التي راحت تقض مضجعها مؤخراً هي السبب في ذلك.

ـ لا أستطيع الإدّعاء بأنه من صنعي وحدي، إذ لدي بستاني بارع يعتني بها بالنيابة عني. أعتقد أنّ لمسته فعلت فعلها أكثر مني.

قدّم جايك لها كرسياً فجلست، وراحت تتأمل الحديقة فلاحظت التغييرات بدءاً بحوض الورود، والشرفة الكبيرة المرممة وصولاً إلى الخيمة الصيفية فصاحت: «لديك خيمة صيفية».

ـ أعلم. بدا المكان بحاجة إليها. هيا كلي قبل أن يبرد الطعام.

نظرت إلى كمية الطعام فانقبضت معدتها. لقد تناولت آخر وجبة حقيقية في سنغافورة وبما أنها لم تأكل شيئاً ليلة أمس بسبب التوتر الذي ساد، كانت مغتبطة كلياً واعترفت عابسة بغرابة: «أستطيع أن آكل كل هذا».

ـ إذن افعلي فأنا أستطيع طهو المزيد. هيا.

نفذت كلامها ولم تتوقف إلا بعدما أفرغت صحنها مرتين واحتست نصف كوب من قهوة. عندئذ، تراجعت إلى الوراء وابتسمت مغتبطة: «كان الطعام رائعاً».

ردّ بابتسامة لطيفة وحزينة في آن معاً قائلاً: «على الرحب والسعة».

ثم نظر إلى قهوته وبدا التفكير على وجهه ثم تطلع إليها بعينيه الزرقاوين الساخرتين مضيفاً: «بشأن ليلة أمس... آسف لأنني بدوت فظاً».

هزت رأسها قائلة: «إنسى الموضوع، فقد تخطيناه. لم يكن من السهل عليّ رؤيتك لذا أستطيع تخيل مدى صعوبة الأمر عليك. كلنا نتفوّه بكلام لا نقصده عندما نكون تحت تأثير الضغط».

لم يرد بل أومأ فقط موافقاً وحوّل انتباهه إلى قهوته.

ارتفع قرص الشمس، وتسللت أشعته من خلال أوراق الشجرة فوق رأسيهما فسبح المكان بالنور الخجول. بدا المكان ساكناً ومريحاً ولم تستطع تصوّر الدافع وراء بيعه والعودة النهائية إلى لندن. وبدون تفكير مسبق، سبق لسانها عقلها فسألته: «لمَ تبيع المكان؟».

يا إلهي. هل بدا سؤالها يائساً كما أوحى لها؟ إذ هز برأسه وبان في عينيه تعبير غامض: «وماذا بقي لي هنا؟».

ودت لو تصرخ «أنا».

ولكنها لم تستطع. لم يكن يريدها فلقد أوضح ذلك تماماً.

ـ ذكرت ميل أنك تمضي أكثر أيامك في لندن.

أومأ موافقاً: «كانت الأعمال مزدهرة مؤخراً».

دفع جايك كرسيه إلى الوراء من دون أن يمسّ فطوره قائلاً: «تعالي لرؤية باقي المنزل».

بعدئذ، يمكنها الرحيل والخروج من حياته، هذا ما فكرت فيه ليديا. يبدو جلياً أنه يريد التخلص منها، ربّما ندم على الدعوة إلا أن تهذيبه منعه من التراجع عنها.

تبعته إلى البهو ومنه لرؤية ما بقي من المنزل. وفيما هي تجول بنظرها، فكرت أنه يبدو وكأنه فاقد الروح. المطبخ بدا خالياً من الحياة، المطبخ والمستنبت الزجاجي اللذان خططا لهما معاً وبحثا في تفاصيلهما خلال تحضيرات الزفاف التي كانت قائمة آنذاك.

صعدا إلى الطابق العلوي لتفقّد غرف النوم وكانت كلها جميلة ومنسقة. تساءلت عن تلك التي أنجزت كل هذا فشعرت بموجة عارمة في الغيرة. عندئذ أعلن جايك وهو يفتح الباب: «هذه غرفتي».

شعرت ليديا بصعوبة في ابتلاع ريقها فلطالما كان هذا ما تمنته، الجدران، السجادة، الستائر، السرير الذي يتوسط الغرفة بأعمدته وستائره وأعلى السرير المنحوت وقوائمه الخشبية التي تلمع. كما رأت على السرير مفرشاً مزخرفاً ممدوداً فوق اللحاف وتعلوه وسادات مثيرة. وعند أسفل السرير، لاحظت غطاءً مستعملاً مطوياً بعناية.

سألته مصدومة: «هل أنهيت الحمّام؟».

فرد بالايجاب قائلاً: «القي نظرة».

كان الحمام جميلاً بتجهيزاته العتيقة ومعداته النحاسية. بدا الحمام

ضخماً بشكله المستدير وتفاصيله المتقنة. أما في زاويته، فرأت دوش من الطراز الفيكتوري القديم، يلزمه الكثير من المياه ليصبح صالحاً للاستعمال ولكنه يبدو جميلاً.

ـ لقد اشتريت جميع الحاجيات اللازمة، بدءاً بإصلاح السباج الذي أخبرتني عنه.

ـ أحسنت صنيعاً.

ومنحته ابتسامة من دون أن تنظر إليه فعلاً لإحساسها الفظيع بالألم، نظرت إلى الساعة من دون أن تراها وقالت: «يجب أن اذهب. لم أعرض فعلياً مساعدتي في تحضيرات الزفاف ولم أساهم بعد في أي شيء مفيد. كما أنهما سيقلقان لتأخري».

توجهت رأساً نحو الباب ثم نزلت السلالم بسرعة حتى أدركت المطبخ حيث استدارت وألقت عليه نظرة مفكرة. هل باتت مجنونة أم أنها لمحت ندماً حقيقياً من عينيه؟ أضافت قبل أن تنسحب وتنهمر دموعها لتفضحها: «شكراً على الفطور».

لقد جُنَّ... أصيب رسمياً بالجنون. لمَ بحق الله أخذها إلى غرفته؟ فهي تعلم الآن أنه التزم بكل كلمة قالتها وحقق لها حلمها متعلقاً ببصيص الأمل في أن تعود وتشاطره الحلم.

أدرك استحالة هذه الفرصة الآن إذ لاذت بالفرار بسرعة. ربما لم تعد تذكر حتى كل خططهما معاً.

ليس هناك من أمل. لقد أدركت مدى غباءه ولعلها الآن تسخر منه.

حسناً، تباً لها! رمى بقايا الفطور في سلة المهملات، ووضع الصحون والأواني في الجلاّية بازدراء ثم خرج صافقاً الباب خلفه.

فتح باب المرآب وركب السيارة، ثم أدار المحرّك وانطلق عبر الزقاق الضيّق بسرعة جنونية. حاول التنفيس عن غضبه ولكن كل ما جناه هو ضبط سرعة وموعظة من الشرطي الذي أوقفه جانباً. قاد السيارة إلى لندن،

حيث اتصل بصديق له وأقنعه بخوض مباراة سكواش فأفرغ أحزانه وعاد إلى الشقة ليخمد لهيب ناره.

إنها سخافة. لم يسبق له أن تصرف على هذا النحو. لكن ما إن وضعت ليديا قدمها في البلدة وقضت فيها ليلتين حتى غرق في الحزن واليأس.

نهض باكراً نهار الإثنين، شاعراً بآلام في عضلاته التي أرهقها أمس ثم قاد سيارته عائداً إلى «سافولك» ووصل إلى منزله مع شروق الشمس التي علت فوق الأشجار وغطت الوادي بلون ذهبي.

كان عليه البقاء في لندن. فالكثير من العمل ينتظره في المكتب ولكنهم يستطيعون تدبّر أمرهم من دونه. كان عليه أن يفعل، لكن جزءاً منه حمله على العودة إلى جوار ليديا خلال الأيام القليلة المتبقية له هناك.

ركن السيارة ودخل المنزل ثم بدأ بتحضير القهوة. طرق باب طوم عند الثامنة حاملاً كوباً من القهوة فوجد ميل هناك، وعلى وجهها ابتسامة هانئة. رحبت ميل به قائلة: «صباح الخير».

فبادلها الابتسام قائلاً: «أهلاً. ما هو جدول أعمالكما اليوم؟».

طرح جايك سؤاله هذا أملاً منه بتقديم العون لهما وللقاء ليديا عن طريق الصدف.

قالت ميل وهي تنظر إلى طوم بشقاوة: «الله وحده يعلم، فنحن لدينا أمور أخرى ننجزها».

من الواضح أنهما لن يتيحا له هذه الفرصة. نزل إلى الأسفل حيث ارتشف قهوته ثم التفت إلى ساعته، إنها الثامنة والنصف. أدار الجلاّية، ثم نظف المطبخ وتوجّه إلى البيت المجاور.

وجد العمّال هناك، يروحون ويجيئون على الطريق لإنجاز ورشة المطبخ. تخبّط قلبه عندما نظر إلى أسفل الطريق. كانت ليديا تجلس مع أمها على المقعد أمام الباب الخلفي، ووجهيهما مرفوعين إلى

الشمس.

زلّت قدمه فتطلعا نحوه ولوحت السيدة بنثون له وصرخت: «جايك. تعال واشرب معنا القهوة».

غاص قلبه. لقد شرب من القهوة حتى هذا الصباح ما يكفي لتعويم أسطول من الغواصات وآخر ما يرغب فيه هو المزيد منها فقال: «لقد شربت ما يكفي منها».

- إذاً بعض عصير الليمون أو الكرواسان؟ لقد وضعنا بعضاً منها في الفرن. هل أكلت؟

نظر إلى ليديا التي تظاهرت بالانشغال فتمنى للمرة الألف معرفة ما تفكر به. ليته يستطيع قراءة أفكارها.

- كلا، لم أفطر بعد وهذه بادرة جميلة أشكرك عليها.

نهضت ليديا وذهبت إلى المطبخ فتبعها سائلاً بهدوء: «هل أزعجتك؟».

تصلّبت ثم ضحكت بنعومة وردّت: «بالطبع لا. اخرج وابحث عن طاولة وكراسٍ وضعها في الخارج. هل يمكنك ذلك؟ سنأكل تحت الشمس. كم هذا جميل!».

نفذ ما طلبته منه ثم جلس مع «ماغي بنثون» عارضاً عليها المساعدة، فقالت: «آه جايك. كم أنت رائع! أعتقد أن ديمون يراقب فريق العمّال الذي يبني جسراً قبل أن يجلبوا المنصة نهار الأربعاء المقبل، وعلينا أن نسلّم قطعة أثاث خشبية لسيدة في «ماندلزهاب غرين». هل تستطيع مرافقة ليديا لإعانتها؟ إنها قطعة ثقيلة كما أن تلك السيدة حامل».

يا إلهي! وكأنها تشترك معه في لعبة الثأر هذه. لعل عبارة الثأر مبالغ فيها. فمجرد فكرة وجودها معه في السيارة، ليرافقها في الذهاب والإياب جعلته يومىء موافقاً: «طبعاً».

في هذه الاثناء، ظهرت ليديا حاملةً صينية يعلوها إبريقا القهوة

وعصير الليمون وسلة مليئة بالكرواسان الساخن قائلة: «الفطور!».

وضعت الصينية على الطاولة موضحة: «أمي، لا أعتقد أن بإمكاني حمل هذه القطعة، ألا يمكننا استئجار حمّال؟».

ردّت ماغي وهي تربت على يدها لتطمئنها: «لقد حُلت المسألة. سيساعدك جايك».

نظرت إليه بعينيها اللامعتين وارتسمت ابتسامة متفهمة على شفتيها ثم سألته بنعومة: «هل أنت متأكد؟».

سؤالها أثار الشك في رأسه فقال: «تماماً. لكن لا يمكننا أخذ سيارتي لأنها لن تتسع».

تدخّلت ماغي محللة: «خذا المرسيدس. لا بأس، ستقود ليديا وهي لا تريد سوى وجودك قربها».

كاد يختنق بعصير الليمون. ولكن لحسن حظه لم تنتبه إلى ذلك ما منحه فرصة ليتمالك أعصابه مجدداً. نظر إلى ليديا وقرأ تعبير الحذر في عينيها، هل هي الصدمة، أم الذهول أم الجوع؟ عندئذ، نظرت بسرعة بعيداً، وتوّرد خداها السمراوان. تنبه فجأة إلى نبضات قلبه التي تسارعت بين ضلوعه. اليوم، سيغدو نهاراً مثيراً.

* * *

٣ ـ أطياف مشاعر

كانت قطعة الأثاث، كما وصفتها ماغي ضخمة.

بعد العقاب الذي أنزله بجسده أمس جراء ممارسة «السكواش»، وحملِه اليوم قطعة المفروشات هذه صعوداً ونزولاً، عانت عضلاته وناءت تحت الثقل ولكنه تجاهلها كما تجاهل الألم النابض في رأسه بسبب عجزه عن النوم في الأمس.

لقد اكتفى بالجلوس قرب ليديا والتمتع برؤيتها مرتدية جينزها على يمينه. جلس جانبياً لكي يستطيع رؤيتها من دون أن يدير رأسه كثيراً ويتأملها وهي تقود السيارة.

كانت متوترة وعصبية إما بسبب عدم قيادتها في البلدة منذ وقت طويل وإما بسبب وجوده. لم يكن يعلم السبب، لكن أعصابها بدت مشدودة كوتر القوس. وبعد فترة توقفت وسألت: «هل تستطيع القيادة؟».

ـ وهل يغطيني التأمين؟

ـ طبعاً، إذ يشمل التأمين كل من تجاوز الحادية والعشرين من عمره. أشعر أني... لا أدري. لقد مضى زمن طويل منذ قدت سيارة ولم أعد معتادة على الأمر. ما زلت أشعر بالغربة رغم عودتي من السفر.

فمازحها قائلاً: «اعترفي بأنك تتنصلين من القيادة».

حدجته ليديا بنظرة غضب مفتشة عن المفاتيح وقالت بضيق: «إنسى الأمر، سأتدبّر الموضوع».

نظر إليها موضحاً:

www.elromancia.com

ـ لا تكوني سخيفة. كنت أمزح. طبعاً سأقود.

خرج من السيارة وفكر للحظة أنها ستنطلق تاركة إياه هناك. ربما يستحق ذلك... آه. تباً.

لكنها فتحت بابها وخرجت منه ملتفة حول مقدمة السيارة فيما استدار هو من الجهة الخلفية لكي لا يتقابلا حتى ولو بالصدفة.

ولكن هل يجرؤ على قول ذلك لها؟ لا، فهو لا يهوى تعذيب نفسه لهذه الدرجة. انسل خلف المقود، وأرجع مقعده إلى الوراء ليتناسب مع ساقيه الطويلتين وتفحص المرايا. كان المقعد دافئاً بسبب جلوسها عليه وأحسّ برد فعل مباشر على ذلك.

يا إلهي، إنه في حال يرثى لها! لا بد أنه أحمق ليتقصّد البقاء بجوارها على هذا الشكل. فلو كان يتمتع بالمنطق، لغادر البلاد. ولكنه لم يفعل. آه، كلا. ها هو ودود ومتطوّع مستعد لفعل كل ما يلزم للبقاء قربها.

عندئذ، ردت بصراحة تامة: «آه، يا إلهي، أنت تمانع، أليس كذلك؟».

ـ أمانع؟؟

ـ القيادة.

تبدّل مزاجه سريعاً من الغضب وابتسم لها قائلاً: «بالتأكيد لا. لا تكوني سخيفة. هلاّ أرشدتني إلى الطريق».

توجّه بالسيارة عائداً إلى الطريق فتنهدت وأحكمت وضع حزام الأمان ثم سألته بعد برهة: «هل سبق ورأيت ميل اليوم؟».

فأخبرها: «كانت برفقة طوم آخر مرة رأيتها. لم يكن يبدو عليهما العجلة لبدء مهامهما».

ـ ستقطّعها أمي إرباً، فلديهم اجتماع أخير مع متعهد الطعام هذا الصباح ويستحسن بها الحضور.

أخبرها جايك شاعراً بنوبة من الحسد: «اتصلي بهما على الخلوي الخاص بي. أطلبي منهما الخروج من المنزل فربما لا يزالان هناك».

اتصلت وتحدّثت إلى طوم لأن «ميل» كانت مشغولة ثم ناولته هاتفه هامسة: «أشكرك».

فأومأ بدوره ووضع الهاتف في جيب سترته محاولاً ألاّ يتمنى أن يكون هو وليديا معاً بدلاً من طوم وميل.

ساد بينهما صمت مشحون وما هي إلا بضع دقائق حتى راح يستعلم منها عن الزقاق الخلفي المؤدي إلى بيت الزبونة. تعاونا معاً على الصندوق الكارتون الثقيل من السيارة إلى المطبخ وفتحه، فصاحت المرأة: «آه كم هو جميل. إنه رائع ومناسب لمكانه. أشكرك جداً يا ليديا».

ابتسمت بدورها فشعر جايك بقلبه يقفز وهي تقول: «من دواعي سروري».

لقد سبق أن ابتسمت له بمثل هذا الدفء ولكن ابتساماتها اليوم بدت إما حزينة وإما متحفظة فتاق إلى المزيد من الابتسامات النابعة من صميم قلبها.

* * *

أما ليديا، فأدركت أنها تنتصل من القيادة فالسيارة بدت لها ضخمة وثقيلة كما أن الأزقة الضيقة التي اختبرتها بعد طرقات اوستراليا الواسعة أزعجتها. كما أنها لم تكن واثقة من قدرتها على بلوغ البيت من دون التسبب بحادث.

على أي حال، الجلوس قربه على هذا النحو أعطاها الفرصة لمراقبته، ولم تستطع منع عينيها من النظر جانبياً إلى حركة عضلاته القوية وإلى مرونة أصابعه على المقود.

نظرت بعيداً، مبتلعة خيبتها بصعوبة فتمنت مجدداً لو تستطيع إعادة عقارب الزمن إلى الوراء.

وفجأة، سألها قاطعاً ذكريات الندم التي كانت تراودها: «هل ترغبين بالتوقف لشرب القهوة؟».

ـ يبدو ذلك جيداً. ثمة مكان قريب، أعتقد أنه مقهى متواضع. هل

www.elromancia.com

سيفي بالغرض؟

ـ لا يهم فأنا لست متطلباً.

وقادته إلى موقف السيارات في الباحة الخلفية لسوق البلدة الصغير ثم تمشيا عائدين إلى المقهى. جلسا في الخارج تحت أشعة الشمس يشربان القهوة ويتفرجان على المارة بصمت راح ثقله يتزايد مع مرور الدقائق. بعد صمت طويل علقّ جايك: «يا له من نهار رائع».

فضحكت بجد، قائلة بحزن: «يبدو أننا لا نعرف ما سنقول لبعضنا الآن. أليس كذلك؟».

انحنى إلى الأمام، وغمس ملعقته في القهوة مطارداً الفقاقيع وهمس: «هل كنا نتحادث حقاً؟ لست واثقاً من أننا تحادثنا جدياً في أي شيء باستثناء البيت».

ـ ربما لهذا السبب لم تنجح علاقتنا.

ـ ربما. إذاً عم تريدين الكلام؟

كادت تسأله عن سبب ابتعاده ولكنها منعت نفسها في الوقت المناسب، فهي تعرف الجواب. لقد رحل لأنهما لم يكونا يعرفان بعضهما جيداً لكي يكونا واثقين من مشاعرهما.

ولكنها قالت في المقابل وهي تهز كتفيها: «أيّ شيء».

فأجابها مسنداً ظهره إلى الكرسي الذي بدا صغيراً مقارنة مع منكبيه العريضين:

ـ حسناً، أخبريني عن أسفارك.

فردت بسخرية: «أحقاً؟ تريد معرفة أخبار تجوالي وتشرُّدي؟».

أردف بضحكة فجة: «ستجعليني أدفع ثمن هذا. أليس كذلك؟ أهتم فعلاً بأخبارك وأنا آسف لانتقادي دوافع رحيلك. كنت أشعر فقط بالحرج. أرجوك أخبريني».

وهكذا، أطلعته على أخبارها بالتفصيل وتوقفت عند بعض النقاط لتطلعه على الصداقات التي كوّنتها وعلى الأشياء التي رأتها وخبرتها. حتى

أخبرته عن الرجل الذي حاول الإعتداء عليها في نيودلهي وعن الخوف الذي انتابها لرؤية ومضة الحقد في عينيه.

فسألها والاهتمام الحقيقي بادٍ عليه: «وهل سلمت من شره؟».

هزت كتفيها فمجرد التفكير بالحادث، يجعلها تشعر بعدم الإرتياح. ردت: «نوعاً ما. لم يؤذني فعلياً ولكنه أخافني وجعلني أشعر بأنني سريعة العطب. ما زلت أشعر حتى اليوم بالانزعاج من الغرباء».

ـ ربما يجب ألاّ تكوني كذلك. لعله درس كان عليك تعلّمه. أنت امرأة جميلة جداً ومرغوبة يا ليديا، ولا يمكن أن أكون أوّل رجل يطلعك على حقيقتك.

شعرت بالدفء يسري في جسدها. هل يجدها مثيرة؟ برغم كل ما حدث؟ نظرت إليه والتقت عيناها بعينيه فذهلت للحرارة المنبعثة منهما.

قال بصوت أجش: «هيا، أطلعيني على المزيد من أسفارك. أخبريني عن أصدقائك».

كان عليها أن تعود بالذاكرة إلى الوراء. أصدقاء... كانوا مجرد أناس ألتقتهم ولم تحظ سوى بصديق واحد، كان اسمه «ليو». وروت له ببطء: «التقيته في سنغافور تعلّقنا نوعاً ما ببعضنا. سافرنا معاً لفترة وكان يبالغ في حمايتي. كنت اشعر معه بالأمان ولكن عندما وصلنا إلى اوستراليا، انفصلنا فتوجه إلى الشمال فيما ذهبت إلى الساحل الشرقي حيث عملت خلال موسم العطلة في مقاطعة كارنز».

فسألها: «تعنين الميلاد؟».

أومأت موافقة: «هذا صحيح. كنا سنلتقي لقضاء الميلاد في «آليس سبرنغز» ولكننا لم نفعل. لقد سرقت فتاة ما حاجياتي باستثناء جواز السفر والصور فأجبرت على البقاء لأنني لم أكن أحمل مالاً للسفر. بعدئذ، علمت أنه قتل في حادث سيارة. كان يقود تحت ضوء القمر بالطبع لأنه لم يكن يحمل إجازة عمل وقد نام أثناء القيادة».

وصمتت متذكرة الصدمة التي أحست بها عند سماعها النبأ، فأحست بحجم الخسارة الفادحة التي منيت بها بعد رحيله عن الوجود.

رد جايك بنعومة: «أنا آسف».

هزت رأسها محاولة الابتسام ولكنها أدركت أن جهودها باءت بالفشل، فقالت: «شكراً. بأي حال، هذا ما حصل. ذهبت إلى نيوزيلنده وعملت لفترة في مزرعة للماشية تخص قريباً لوالدي ثم سعيت إلى العودة إلى أوستراليا وعملت في شتى أنواع الوظائف لجني المال».

ـ يبدو الأمر مثيراً للاهتمام.

وافقت مسترجعة الذكريات الحلوة والمرة، السعيدة منها والتعيسة.

ـ كان... ولكنني كنت مستعدة للرجوع.

ألقت نظرة خاطفة على ساعتها متصنعة التعجب: «يا إلهي، أنظر إلى الوقت. كنت أتحدث لساعات وأنا آسفة».

ـ لا تأسفي. وبحق الله لا تعتذري عن حديثك معي، فلقد كان مؤجلاً منذ زمن طويل. كان علينا القيام بهذا منذ زمن طويل.

التقت عيناهما فرأت الندم الحقيقي فيهما، ندم طابق ما تحس به تجاهه، فقالت بهدوء: «أنت محق فنحن لم نأخذ وقتنا في الكلام».

قال بلهجة ناعمة: «علينا أن نغيّر ذلك. فمهما حصل، سنستمر في رؤية بعضنا في مناسبات مختلفة. قد نصبح أصدقاء أيضاً. هل تعتقدين أننا نستطيع تدبر ذلك؟».

أصدقاء... يا له من مطلب بعيد عما كانت تتمناه؟ كان والداها صديقين رائعين، لا بل حميمين. كانت علاقتهما بدائية لا بل عاصفة في بدايتها ولكنها ما لبثت أن استقرت وتعمقت فسادها الود والثقة.

قد لا تكون الصداقة مطلباً سيئاً. فبهذه الطريقة على الأقل، ستبقي الباب مشرّعاً بينهما وقد تحظى بفرصة لتبيان ما إذا كان أمامهما مستقبلا بعد هذا الأسبوع. أكدت بحزم: «أجل، أنا واثقة من أننا نستطيع تخطي الوضع».

نهض قائلاً: «علينا أن نعود. أظن أنهم يتوقعون مني المساعدة في بناء جسر فوق النهر».

ـ على الارجح. أظن أن الأمر سينتهي بي وأنا أقوم بمهام أمي في حال عودتنا. ولكن أعتقد أن بوسعي التطوّع أنا أيضاً في مسألة بناء الجسر.

عندما وصلا، كان الجسر قد بني ولكنهما نزلا لتأمله ولإلقاء نظرة على المكان الذي ستركن فيه السيارات السبت المقبل.

قال ريمون بنتون، متفحصاً السماء علّه يجد الجواب الشافي: «لو أن السماء تبقى صاحية؛ لكنّا جميعاً بأحسن حال».

وأضافت ليديا متأملة: «إذا امطرت فسيكون عليهم إيقاف سياراتهم على الطريق العليا فهي ليست وعرة».

ضمّها والدها إليه، ملقياً نظرة سريعة على جايك: «هل رأيت صديقك اليوم؟ يبدو أنه اختطف ابنتنا الأخرى».

ابتسم جايك بغرابة مضيفاً: «أحقاً؟ رجل عاقل. لم أرهما منذ الصباح. كانا جالسين باستسلام حتى من دون أن تبدو عليهما بوادر النهوض رغم أنهما وعدا بمقابلة متعهد حفل الزفاف».

فكر جايك في أنهما قد ملاّ ترتيبات الزفاف ولم يكن يستغرب من ذلك.

فأكمل ريمون قائلاً: «آه حسناً، سيظهران عاجلاً أم آجلاً. ليديا، عزيزتي، سيعسل منسقو الزهور في غضون نصف ساعة لتحديد الترتيبات النهائية. هل تستطيعين مساعدة أمك؟ لقد فوّتت ميل على نفسها فرصة لقاء المتعهدين».

وافقت ليديا بدورها وعانقته مسرعة قبل أن تلتفت إلى جايك: «هل نلتمس بعضاً من الطعام؟».

ـ تبدو فكرة جيدة.

قالها جايك مفكراً كم ستدوم هدنتهما وما إذا كانا سيصلان إلى نتيجة مع نهاية الأسبوع...

ليس كما انتهى بهما الأمر سابقاً ولكن ماذا حصل آنذاك؟ هل فشل في التواصل؟

لحقها صعوداً إلى المنزل ومنه إلى المطبخ وهناك وجدا ميل وطوم يتعرّضان للتأنيب الودي من والدتها. صرخت أمها بهما: «أين كنتما بحق الله؟ أنتما عابثان».

قبّلت ميل أمها ومنحتها ابتسامتها الجذابة فتبخر غضب الأم في لحظة. نظر جايك في عيني طوم ورفع حاجبيه فغمزه طوم.

التذل! اختفت ابتسامة جايك عن وجهه وحل مكانها نظرة معبرّة فخشي أن تكون فاضحة.

سأل جايك في محاولة منه لملء الفراغ: «هل أستطيع المساعدة؟».

فصاحت به ماغي: «جايك، عزيزي. أزح الغطاء عن الجبنة فغذاؤنا بسيط وأظن أنه مقتصر على الجبنة والفواكه والمياه المعدنية. ميلاني، اجلبي الصحون يا عزيزتي أرجوك. وطوم، هل يمكنك نقل الطاولة إلى الشرفة ووضع المقاعد خارجاً؟. ليديا، هلا غسلت الفواكه يا حبيبتي؟».

وهكذا، توزعوا جميعاً، ليجتمعوا بعد فترة على مائدة الغداء مع ريمون الذي قدم من منتصف الحديقة تلبية لنداء ماغي.

وفيما كانوا يأكلون، تناقشوا في الترتيبات الأخيرة فشعر جايك بالانزعاج إذ سبق له أن اختبر هذا المشهد. ليديا، بدورها، شعرت بعدم الارتياح فتنفسا الصعداء عند انتهاء الغداء وبات في إمكانهما الهروب.

وفيما كانا ينقلان الأطباق إلى المطبخ، قالت لها ماغي: «ستذهبين يا ليديا لمقابلة المصمم بعد الظهر لتعديل الفستان.. وبما أنك ذاهبة، هل تستطيعين جلب قبعتي؟ كانت بحاجة إلى رباط لتتناسب مع الثوب».

وافقت ليديا بالقول: «طبعاً، أين هي؟».

ـ في «ودُبردج»، أنت تعرفين المكان؟

وشحب وجهها ففكر جايك في صعوبة الموقف الذي تعيشه. ألم

يفكر أحدهم بعواقب اعتماد الخطط نفسها: المتعهدون ومنسقو الزهور والمنصة والمصمم نفسه كما في السنة الفائتة؟

ووجد نفسه يقول: «سأصطحبك».

فشكرته بنظرة امتنان قائلة: «وهل ستفعل؟ لست واثقة من أنني أذكر الطريق».

ـ طبعاً، لنذهب.

فقالت ماغي، مانعةً إياهما من الانسحاب: «آه، أريد أن أتصل بها. انتظر. تباً لقد وصل منسقو الزهور».

ردت ليديا بسرعة قبل أن تخرج من الباب:

ـ سنجازف.

لحقها جايك، هامساً بعبارات الشكر على الغداء وانضم إليها أثناء صعودها إلى السيارة. فاقترحت عاقدة ذراعيها حول صدرها: «هل ستذهب بسيارتك؟».

بدت متوترة وتعيسة فرغب في احتضانها.

ـ حسناً. نستطيع أن نمشي بمحاذاة البحيرة عندما تنتهي، إذا أردت.

ـ هيا، ستجري الأمور على خير يا ليديا. إنه مجرّد ثوب.

ـ إنها امرأة فضولية وهي على علم بما يجري. ستتطرق إلى أحداث السنة الماضية.

ـ قولي لها فقط إنني تخليت عنك.

نظرت إليه برعب: «ماذا؟ لأحصل على تعاطفها؟ لا شك أنك تمزح؟».

ـ أخبريها أنك احتجت لوقت أطول للتفكير. أخبريها أن الوضع معلّق.

فسألت بسخرية: «بعد ما أخبرتها إياه ميل؟ إنهما متشابهتان. أعتقد أن كل تفصيل حميم في حياتي قد مرّ على كل شفة ولسان».

أوضح لها: «اختصري بالكلام. سأدخل معك...».

www.elromancia.com

فصاحت به مرعوبة: «كلا! سيزداد الأمر سوءاً. سأتدبر الأمر معها. سأقول لها إنني أردت رؤية العالم قبل الاستقرار».

وهل يعني ذلك أنها باتت الآن مستعدة للاستقرار؟ فكر جايك في كلامها في سره. لعله مجرد كلام يقال لشخص فضولي يتدخل في شؤون الآخرين؟ لم تكن لديه أدنى فكرة. انتظرها خارجاً، محاولاً عدم التفكير في المدعو «ليو» وبنوع العلاقة التي نشأت بينهما. بعد دقائق حسبها دهراً خرجت لتعود أدراجها على الطريق ترافقها المرأة بثرثراتها.

وعدتها ليديا وهي تضع علبة القبعة على المقعد الخلفي قبل أن تصعد إلى السيارة وتصفق الباب ملوّحة: «سآخذه الأربعاء المقبل».

واستدارت نحوه قائلة: «بسرعة، انطلق قبل أن تفكر بشيء آخر تقوله».

ـ هل طالبتك بالتفاصيل؟

أسندت رأسها إلى المقعد وتنهدت بعمق قائلة: «هل طلبت؟؟ كان علي إطلاعها على كل الامور التي قمت بها السنة الماضية فتلقيت تأنيباً على نحافتي وإضرابي عن الطعام».

فهمس جايك مبتسماً لها: «إنها محقة تماماً. لكنك تستطيعين إصلاح الوضع بتناول عدد من الوجبات الوافرة».

قالت بعبوس: «ماذا؟ كذلك الفطور مثلاً. لا أعتقد أنني أستطيع تحمل ذلك كل يوم».

فكّر جايك بحزن مخاطباً إياها بصمت: كان بإمكانك القيام بذلك في كل نهاية أسبوع، خلال السنة الماضية.

فاقترح برتابة: «هل تريدين شاياً؟ لا بد أنّ هناك مقهى على ضفاف النهر».

وجدا مقهى صغيراً فشربا فيه الشاي وتشاطرا قطعة كبيرة من كعكة الشوكولا.

حسناً، كان أمامهما صحن وشوكتان فراح جايك يلهو بشوكته فيما

ليديا منحنية فوق الصحن ولم ترفع رأسها إلا بعد انتهائها. قالت بعبوس غريب: «كان حلو المذاق».

فضحك قائلاً: «هذا جيد».

تنهدت قائلة: «يجب ألاّ أكرر ذلك غالباً وإلا سيضيق الفستان. قد أرسلك لجلبه. لا أعتقد أن بإمكاني مواجهتها ثانية».

ردّ بجفاء: «محاولة جيدة ولكنك تعلمين أنها ستطالب بتجربته وأنا واثق من أنه لن يناسبني».

ضحكت بخفة: «أجل، أنت مصيب. على أيّ حال ستمطرك بالأسئلة حتى تخبرها بما كنت تفعله خلال السنة الماضية».

فعلّق بدوره: «لن يتطلب ذلك سوى ثوان معدودة».

اختفت ابتسامتها فشعر بذلك. وضع الفنجان في صحنه محدثاً ضجة خفيفة، وسأل: «هل نذهب؟ لقد تذكرت للتوّ أن علي إجراء مخابرة».

نظرت إليه بفضول ولكنها هزت كتفيها ثم وضعت فنجان الشاي من دون أن تنهيه قائلة: «حسناً، لا يهم. أنا آسفة. يبدو أنني آخذ الكثير من وقتك وأنت قد تكون مشغولاً».

أراد أن يصحّح لها ولكنه أحس فجأة باللهفة للمغادرة وبأنه سريع العطب، مهدّد بانفضاح أمره.

لم يكن يود التفكير بالسنة الماضية. كانت باردة وموحشة ومظلمة من دونها. لقد أغرق نفسه في العمل وفي التفكير بالسبب الذي جعل طباعه منفّرة في نظرها.

أرغم نفسه على عدم الابتعاد عنها والتزم بالسير بشكل طبيعي على ضفاف النهر في الطريق المؤدي إلى الموقف.

مشت قربه بصمت، ربما انشغلت باللحاق به عن الكلام فأحس بوخزة أخرى من الذنب وأبطأ سيره. يبدو أن هذا الأسبوع يسبب وخزات من الذنب وكان حائراً لمعرفة لما عليه هو أن يشعر بالذنب ولكن هذا ما شعر

www.elromancia.com

به فعلاً.

ربما لأن لديه دافع خفي.

لسبب ما يدركه عقله الباطن، كان يفتش عمداً عن رفقتها رغم أنها لن تؤدي إلى شيء.

عندما عادا إلى السيارة وباتا في الطريق، أجبر نفسه على الاسترخاء وأخذ نفساً عميقاً وطويلاً.

قالت بهدوء: «أنا آسفة».

فالتفت إليها ونظر إليها بتعجب سائلاً: «آسفة؟».

ـ الأمر صعب عليك بقدر ما هو صعب عليّ، وربما أكثر. لا أنفك أجبرك على الخوض في هذه المتاهات. لمَ لا تذهب إلى لندن وترجع السبت المقبل؟

لكان وافقها الرأي منذ عشر ثوانٍ مضت ولكن شيئاً ما في نظراتها استوقفه، فقال: «حسناً، لا تقلقي بشأني فأنا راشد يا ليديا. وماذا عنك؟».

ضحكت بنعومة، وتحركت كتفاها بهزة خفية معبّرة:

ـ آه، وأنا أقول إنني راشدة أيضاً، ولكن الوضع ما زال غريباً. ثمة أوقات أتمنى فيها لو بقيت في اوستراليا لمدة أطول.

تمتم بدوره: «سأتذكر هذا».

عندئذ، ومن دون إمعان في التفكير، أضاف: «اسمعي. دُعيتُ إلى حفل يوم مولد صديق لي سيبلغ الثلاثين من عمره، وذلك مساء الأربعاء في «إبليغ». فكرت بالذهاب والمبيت في الشقة لحضور الحفل أو ربما أعرّج على المكتب الخميس في طريق العودة. لمَ لا تأتين معي؟».

سمعت صوتاً في أعماقها يحذّرها ولكنها لم تشأ الإصغاء إليه. ليلة بكاملها في لندن، للسهر والابتعاد عن كل ما يحيطها فكرة رائعة عموماً.

قالت بابتسامة خفيفة ومترددة: «شكراً لك. إذا كانت دعوتك جدية،

أقبل».

أردف بدوره: «طبعاً، عنيت ما قلته».

للحظة، تخيّلت أنه يحاول إقناع نفسه أو ربما تكون دعوته مشابهة لدعوة الفطور وسيندم عليها لاحقاً.

كانا في طريق العودة يسلكان طريق الريف عندما مرا بلافتة تشير إلى حقل فقالت: «فراولة! لنذهب جايك لقطف الفراولة!. نقطف ما تيسر لنا فنأكل النصف ونحمل النصف الآخر معنا فأنا لم أتناول الفراولة منذ سنة، أرجوك؟».

نظر في عينيها المتحمستين فأذعن مجيباً: «حسناً».

واستدار بالسيارة مضيفاً: «السيدة تطلب فراولة وهذا ما ستحصل عليه».

منحته ابتسامة مشرقة فشعر بتأثير تلك الابتسامة يغمره حتى أخمص قدميه.

لم يكن قطف الفواكه جديداً على ليديا فلقد سبق أن عملت في هذا المجال في نيوزيلنده وليس لمجرد التسلية. لكنها لم تقطف الفراولة الانكليزية من قبل. شعرت أن مذاقها مختلف بطريقة ما فسال لعابها أثناء توجههما إلى أثلام النباتات القصيرة المحملة بثمار كبيرة وممتلئة.

قالت وهي تثني ركبتيها منتقية أكبر وأنضج ثمرة أمامها: «آه، واو...».

قضمتها فسال منها العصير على ذقنها، ضحكت ولعقت العصير ثم قدمت واحدة لجايك قائلة:

ـ خذ كلها. إنها لذيذة.

تردد لبرهة ثم انحنى وقضمها بنعومة.

حثته بدورها: «أليست رائعة؟».

منحها ابتسامة كسولة فازدردت بريقها وقال: «أجل. ولكنني أتساءل

www.elromancia.com

هل سنأكلها عوضاً عن قطفها».

صفقت بيديها وضحكت: «كلهم يفعلون الشيء نفسه. لكن أمي كانت تقول بأنه يجدر بي أخذ وزني قبل دخول المرج وإثر الخروج منه وتحميلي عبء الفارق».

ضحك بصوت خافت وجلس القرفصاء قربها في الصف التالي، مفسحاً لها الطريق بين النباتات بعينه الناقدة والخبيرة. كان يأكل واحدة بين الحين والآخر ولكن ليديا كانت تعمل وفقاً للمثل القائل: «واحدة لي، واثنتان في جعبتي».

عندما امتلأت سلته كانت قد بلغت منتصف الطريق ولم تقطف الكثير لأنها كانت تتوقف لتذوّق الثمار.

قالت ليديا آملة: «لقد قالت إنه يوجد أيضاً ثمار توت العليق».

ابتسم لها بتسامح ثم استقام في وقفته: «هيا إذاً، لنملأ أخرى لهم».

كانت ثمار التوت أكثر طراوة فوضعت ليديا واحدة في فمها وأغمضت عينيها، متأوهة بسعادة.

ـ آه، إنها الأفضل، هيا، جرّب واحدة.

وأصرت عليه ليديا واضعة واحدة بين شفتيه المنفرجتين. كانت عيناها مغمضتين ولبرهة، جمد في مكانه ممسكاً الثمرة بين أسنانه فقفز قلبها في صدرها.

ثم نظر بعيداً، محوّلاً انتباهه إلى أغصان التوت فتلامست كتفاهما فيما هو يحاول إيجاد طريقه بصمت بين العليق. عندما أدركا الثمرة نفسها وأطبقت أصابعها عليها قبله بثانية، هز الغصن بنعومة فارتمت الثمرة في حضن يدها فتناولها من بين أصابعها.

شعرت بالصدمة لإحساسها بلمسته. وضع الثمرة في فمه ثم استقام قائلاً بصوت بدا واهناً وغير مألوف: «أظننا نلنا كفايتنا».

نظرت إلى الأسفل نحو السلة التي كانت نصف ممتلئة وتذكرت أنه

يفترض به مخابرة أحدهم وأنها ألهته مجدداً لغاياتها الخاصة. متى ستتعلم ألاّ تكون أنانية؟

ـ آسفة، قلت إنه عليك العودة منذ زمن. بمَ كنت أفكر؟

لثوان، بدا مذهولاً ثم همس شيئاً غير مفهوم وتوجه رأساً إلى الميزان.

وفيما كانت الفتاة تزن لهما الفواكه، صاحت به: «آه، أنظر. توت أحمر».

ـ أجل، إنها مبكرة هذه السنة. عادة لا تنضج قبل تموز ولكن الطقس ما زال دافئاً منذ مدة. كما لدينا بضع حبات من التوت الأسود.

والتفتت ليديا إلى جايك قائلة بفرح: «يمكننا تحضير بودينغ. آه، أجل. علينا أن نشتري المزيد. هل يمكننا الحصول على واحدة من كل صنف، أرجوك؟».

ولاحقاً وبعد أنْ وضبت الأغراض كلها، أصرّ جايك طبعاً على الدفع. وبابتسامة غريبة، طلب من الفتاة إضافة ثمن نصف باوند من الفراولة على الثمن نظراً للكمية التي تذوقاها في المرج. ضحكت الفتاة معربة عن رفضها فراح جايك يمانع إذ كان الامر جزءاً من الاتفاق وظنت ليديا أن الفتاة سيغمى عليها فوق الفواكه.

الفتاة المسكينة! لطالما كان له هذا التأثير على النساء، فكرت ليديا بغرابة. حسناً وبصراحة، لقد شعرت بالتأثير نفسه في لقائهما الأول وفكّرت أنه الشخص الأكثر جاذبية وروعة بين الذي قابلتهم في حياتها كلها.

***

٤ ـ شريط الذكريات

في المرة الأولى التي التقيا فيها، كانت تجلس على المقعد عند باب المطبخ معرّضة نفسها لشمس نيسان.

نزل من السيارة وسمعت وقع أقدام على الرخام. كانت خطوات سريعة حازمة ففكرت أنه أحد العمال في الورشة يفتش عن أمها أو أحد المزارعين المعاونين قد أتى إلى المزرعة في استراحة.

مهما يكن، لم ينبح «موللي» واستطاعت سماع حركات ذنبه الرتيبة لذا تجاهلت وقع الأقدام حتى غمرها ظل ما حاجباً الشمس عنها. عندئذ، استوت في جلستها ورفعت عينيها لترى ملامحه تحت الشمس فتوقف قلبها عن النبض لبرهة.

لم يكن الرجل من معارفها كما لم تلتقه من قبل. لو عرفته سابقاً، لتذكرته حتماً. لم تستطع رؤية ملامحه بوضوح ولكن شيئاً ما في وجهه حملها فوراً على الحذر منه. أدارت رأسها، رافعة يدها فوق عينيها فاستطاعت أخيراً رؤيته بوضوح.

كان رائعاً وطويلاً، متين البنية ولكنه ليس ضخماً. شعره الأسود ناعم وكثيف، قصير ومرتب لكنه طويل بما يكفي ليستطيع المرء تمرير أصابعه فيه. كان يرتدي سروالاً عملياً، وقد ترك قميصه مفتوحاً عند العنق فيما كان يمسك سترته بإصبعه ويرفعها فوق كتفه ويبتسم لها فدار الكون على محوره.

وفجأة، تنبّهت إلى جلستها فشدت تنورتها نحو الاسفل حتى ركبتيها ونهضت آملة أن يفهم أن احمرار خديها يعود إلى الشمس وليس إلى ظهوره المفاجيء أمام عينيها.

قالت وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيها من دون إذن منها: «هم... هاي. آسفة. كنت شاردة الذهن، هل أستطيع المساعدة؟».

ـ أنا جارك الجديد. فكرت بالقدوم للتعريف بنفسي. أدعى جايك ديلاني.

صافحهامبتسماً فتساءلت ما إذا كانت عيناه تلمعان دائماً على هذا النحو.

ردت آلياً، مأخوذة بجاذبيته ومسحورة بعينيه الزرقاوين الرائعتين اللامعتين: «يسعدني لقاؤك. أنا ليديا بنتون. أهلاً بك في المنطقة».

وأملت ألا تكون ابتسامتها تافهة.

أكملت بهدوء: «أبي في المزرعة خارجاً في الوقت الحاضر وأعتقد أن أمي موجودة. تعال، هل أقدم لك شراباً؟».

ابتسم مجدداً مما زاد من خفقان قلبها وقال: «سيكون هذا رائعاً. قهوة ربما؟».

ـ طبعاً. تعال إلى المطبخ. سأنادي أمي فهي على الأرجح في المكتبة.

تبعها إلى الداخل ملقياً سترته بعفوية على ظهر الكرسي وانحنى ليربت على الكلب. وضعت الإبريق على النار وأطلت برأسها من باب المطبخ. كانت أمها خارجة للتو من المكتبة وقالت مبتسمة: «هل أسمع أصواتاً؟».

أومأت ليديا: «أجل، إنه جارنا الجديد. إنه في المطبخ. كنت أهم بإعداد القهوة لنا جميعاً».

ـ آه، جيد.

ودخلت رافعة يدها: «ماغي بنتون. أهلاً بك في البلدة».

ـ شكراً لك. أدعى جاك ديلاني.

وصافحها فابتسمت أمها بإعجاب. كانت تحب المصافحة الحازمة كما تذكرت ليديا وكان جايك حازماً. كان مزيجاً رائعاً، لا ينقصه شيء. أعدت القهوة وجلسوا حول المائدة فيما استلقى «موللي» بتودد على مسافة. وأخبرهما جايك عن ظروف شرائه المنزل. حسناً! الصراحة تقضي بالاقرار أن ماغي سألته واستدرجته فما كان من جايك إلا أن أخبرها بكل شيء. كانت والدتها خبيرة في استدراج الناس لكي يفشوا أسرارهم.

لم تمانع ليديا مطلقاً. اكتفت بالاستماع إلى نبرة صوته وهي جالسة. كانت تصغي إلى تفاصيل عثوره على البيت. قال بعبوس: «إنها صفقة جيدة فهو مهجور عملياً».

أجابت ماغي: «آه، أجل فالعجوز الذي كان يقطن هناك، لم يفعل شيئاً في السنتين الأخيرتين. ولم يكن في السابق يصلح المكان ولكنك على الأقل قادر على إزالة التعديلات الحديثة غير المستكملة أو التي لا تناسب ذوقك».

تحشرج صوته... هاتان العينان الزرقاوان اللامعتان والمضيئتان تسببان ارتفاعاً في ضغط الدم لديها.

ـ ما من شيء لإزالته، صدقيني. المطبخ عبارة عن بضع خزائن تعود إلى الثلاثينات مطلية بقشرة بيضاء ومجلى مطلي بلون الكريم. ما من شيء يستأهل الاهتمام على الإطلاق.

جال بنظره في المطبخ وتنهد: «هذا، من ناحية أخرى، جميل. هل نفذته شركة محلية؟».

ضحكت بنعومة: «بطريقة ما».

فتدخلت ليديا: «ما تعنيه أمي أنها أرادت إصلاحه ولكنها لم تعثر على أحد في الجوار يستطيع القيام بالمهمة وفقاً لتطلعاتها. لم تكن مستعدة لدفع مبلغ كبير لترميم هذا المنزل الصغير، لذا استخدمت عدداً من العمال ونفذته بنفسها. بدا ناجحاً لدرجة أنها أنشأت شركتها الخاصة».

وأصغى جايك بانتباه شديد قائلاً: «أحقاً؟ إذاً عندما يحين موعد ترميم

المطبخ...».

قاطعته ماغي مبتسمة بشقاوة: «سنكون مسرورين لمساعدتك. هل ستنتقل الآن؟».

ضحك بصوت أجش بدا موسيقياً في أذني ليديا، وقال: «ليس تماماً. يحتاج المنزل لبعض التحسينات الأساسية قبل أن أستطيع الإقامة فيه. لكنه الآن لي على أيّ حال، لذا أستطيع السماح لنفسي بالتخطيط له. هل تريدين إلقاء نظرة؟».

نظرت ماغي إلى ساعة يدها متنهدة: «كنت أود ذلك ولكنني مشغولة فلدي زبون للأسف. ولكن، تستطيع ليديا مرافقتك. أليس كذلك يا عزيزتي؟ تستطيعين القيام بجولة استطلاعية واستنباط عدد من الأفكار».

زبون؟ فكرت ليديا. كان خبراً جديداً لكنها لن تدع فرحة رؤية المنزل أو قضاء الوقت برفقته تفوتها.

هزت كتفيها: «طبعاً. كان يفترض بي العمل هذا الصباح لكنهم اضطروا إلى الإلغاء فبتّ إذاً حرة، أتنعم بالشمس. أجل، إذ كنت تود ولديك الوقت، أستطيع مرافقتك لإلقاء نظرة على المنزل الآن».

واتسعت ابتسامته: «عظيم. لم أكن أعلم أن ذلك سيكون بمنتهى السهولة. كنت أفتش في الإعلانات متسائلاً ما العمل. لكن المؤسسات الضخمة مبرمجة وأفضّل استخدام اليد العاملة المحلية على أيّ حال. وبالحديث عن هذا، هل هناك بنّاء أو سمكري تتعاملان معه؟».

ضحكت ماغي: «في الواقع لدي الإثنين. فنحن نعمل بشكل متحد مع تلك المصالح. تستطيع ليديا تزويدك بأرقامهما. أليس كذلك عزيزتي؟ آسفة، عليّ الذهاب فوراً. ما زلت أعمل مع هذا الزبون تحديداً. سأراكما لاحقاً. يسعدني لقاؤك جايك».

وهكذا، ومن دون إضاعة الوقت في الاهتمام بثيابها أو بما إذا كانت توحي بالاحترام أو بالعملانية أو ما إذا كانت ثيابها نظيفة حتى. بغض النظر عما إذا كانت تبدو كاملة الأنوثة أو مرغوبة وجدت نفسها تسير الدرب

صعوداً برفقة الرجل الأكثر وسامة من بين الذين التقتهم في حياتها، مأخوذة تماماً بسحره الأخاذ وبصفاء عينيه الزرقاوين الداكنتين الرائعتين.

وفيما كانا يقتربان من المنزل، راقبت ليديا بدقة القرميد الأحمر المصقول، والنوافذ الطويلة بإطارها الأبيض، والكوة الصغير فوق عتبة الباب.

كان للبيت تناسقه الجميل ولطالما كان يستهويها بسبب انطواء مالكه على نفسه وجو الغموض المسيطر عليه.

اليوم، وفيما هي تهم بدخوله للمرة الأولى، شعرت برعشة من الإثارة والتوقُّع.

قال مبتسماً باعتذار فيما هو يفتح الباب المقشّر ويدفع رزمة من البريد البالي بعيداً عن الطريق:

ـ ادخلي وبحق الله، قولي لي إنه لم يكن أبداً خطأ جسيماً.

ضحكت مسرورة: «خطأ؟ هذا جميل! أنظر، لديه أرضية منقوشة برسوم شمعية مثبتة في البهو. أنظر هنا هل تستطيع رؤيتها؟ آه. هذا رائع!».

انحنت، دافعة البريد البالي جانباً وأرته النقوش الجميلة الزرقاء، الحمراء والكريمية اللون، والأرضية المزخرفة بطابعها التقليدي جداً مقارنة مع بيوت البلدة المبنية في الوقت نفسه.

ـ آه، أنت محظوظ فالرسوم التي كانت في منزلنا متضررة كثيراً فاضطررنا إلى إزالتها واستخدمنا منها ما يكفي لتزيين الردهة في الأسفل. لقد نجحنا على الأقل في إنقاذ القليل منها.

نهضت وجالت بنظرها، دخلت إلى القاعة وأطلقت تنهيدة فرحة. كانت درجات السلم الملساء تنتصب بعناية في إحدى زوايا القاعة وهي مزودّة بدرابزين من خشب الماهوغاني ينتهي بشكل هندسي. لكن العديد من عواميد الدرابزين التي يفترض بها دعم السلم كانت محطمّة. كانت مغطاة بالأوساخ والشحوم ولكنها أصلية ولم تُمسّ كما لم يتم ترميمها.

كانت الأبواب مشرّعة فتبيّنت الغرفة التي كانت تستعمل في ما مضى للرسم والتي أضحت اليوم ركاماً. فهزت رأسها بذهول، هامسة: «لم أكن أدرك أنها بمثل هذا السوء».

ـ أنا مندهش لعدم زيارتك المكان.

نظرت في عينيه وضحكت بنعومة.

ـ آه، لا. كان الرجل منطوياً على نفسه كلياً. كان يكره الجميع تقريباً حتى أنه لم يكن يدع الغرباء يبيتون لديه وهو لم يرد بالتأكيد التقرُّب من جيرانه.

أعلن جايك بابتسامة بطيئة: «يا للفرصة الضائعة! تعالي لتري المطبخ».

طلبت منه بلهجة مهنية: «هل أستطيع رؤية باقي المنزل أولاً فهذا يساعد على فهم ما تحاول إدخاله عليه؟ هل لديك أيّ فكرة عن الطابع الذي تود أن يسوده؟».

قال: «طابع؟ ما رأيك بالنظام أو بالترميم!».

ضحكت مجدداً ونظرت إلى السلم بشك.

ـ أفهم أنها آمنة؟ لقد بت حذرة منذ شاهدت فيلم الممثل طوم هانكس، حيث تنهار فيه درجات السلمّ.

سعل جايك وأجاب: «أعتقد أن السلالم آمنة ولكن قنوات الصرف قد تكون مشابهة للفيلم. أتذكرين الفيضان في الحمام؟».

هزت ليديا رأسها وضحكت: «إذاً هيا، لنلقِ نظرة بما أن الوضع سليم. وسنناقش الطابع الذي ستضفيه على المنزل، فسيساعدني ذلك على تنفيذ المطبخ بدقة وأفترض أنك تريده أن يتناسب مع طابع البيت العام لا أن يكون تجهيزه عصرياً ومعقداً جداً؟».

هز رأسه: «لا، فلدي مطبخ عصري جداً في لندن. أريد شيئاً مختلفاً هنا، شيئاً ريفياً ومتيناً ولكنه مرتبط بهذا المنزل، شيئاً ما بقدم التلال».

وافقت بإيماءة، وبعد جولة سريعة في البيت الذي بدا كئيباً وهرماً

ولكنه جميل في الأساس، نزلا إلى المطبخ ووقفا في منتصف الغرفة الكبيرة والفارغة محدقين فيها بصمت. قالت بنعومة: «همم...».

فاختنق: «هكذا إذاً! أعتقد أن تجريد البيت من صفاته قد يكون تصرفاً خاطئاً».

وافقته الرأي وهي تتفحص موقع المدفأة والأبواب والنوافذ والمقاييس العامة في الغرفة بعين خبيرة: «حسناً. لن يربح أيّ جوائز لكن وضعه بالأساس ما زال جيداً. أخبرني ماذا خططت له لأستطيع أن أبتكر شيئاً».

أخبرها بإسهاب ومن ثم عادا إلى مطبخ منزلها وجلسا حول الطاولة المحمّلة بصور وأفكار. عندئذ توقفت لتخبره: «ينبغي أن تفكر بالموضوع لفترة فلا يمكن اتخاذ قرارات سريعة. سأحضر بعض الاقتراحات لك في المرة القادمة ويمكنك الإطلاع عليها إذا ما أردت؟».

سألها: «هل تستطيعين إرسالها بالبريد؟».

فأحست بموجة غريبة من النفور تغمرها لمجرد قيامها بذلك. كانت تريد معالجة الموضوع بنفسها، لسبب ما، لم تكن مستعدة حينها للإقرار بذلك.

فتابع بدوره: «عندئذ يمكنني المجيء وبحث الأمر معك بعد أن يتسنّى لي التفكير في الموضوع».

غمرتها موجة من الارتياح فقالت: «سيكون هذا مناسباً. عليك أن تعطيني عنوانك».

ناولها ورقة، مجرد ورقة بسيطة بيضاء كتب عليها باللون الأسود. لم تكن مزخرفة باستثناء العنوان الذي يدل على حيّ راقٍ في جوار «باتلرز وارف»، ولا بدّ أنها إحدى تلك الشقق الراقية المطلة على نهر التايمز. أومأت برأسها قائلة: «حسناً. هذا جيد. سيتطلب الأمر بضعة أيام».

ابتسم فسرت الحرارة في أوصالها وقال: «سأنتظر على أحرّ من الجمر».

لزمها يومين واتصل بها في مساء اليوم الذي أرسلت فيه الأوراق إليه. بادرها بالقول: «شكراً على التصاميم. كنت أتساءل ما إذا كنت منشغلة في الغد. علي المجيء لرؤية البنّاء وكنت أتساءل إذا ما كان باستطاعتنا مناقشة أمر المطبخ على الغداء، ربما؟».

كانت مشغولة ولكنها قررت الموافقة وأمضت طيلة الأمسية وهي تحاول تنظيم جدول أعمالها، لتخلصّ نفسها من الالتزامات عند الغداء في فترة بعد الظهر.

وأدهشها أن أمها كانت متعاونة معها إلى أقصى الحدود. إنه زبون هام وهو ليس عملاً قيّماً وتجارياً فقط بل سيسكن في جوارهم لمدة طويلة، ويجب عليهم حسب قول أمها التكيف مع عواقب قراراتهم لذا من المستحسن أن تفعل الصواب.

وهكذا خرجت مع جايك ديلاني للغداء بمباركة من أمّها وقلبها يتراقص فرحاً وحاولت جاهدة التركيز على أي شيء بعيداً عن عينيه الزرقاوين الحالمتين والمثيرتين وعن ابتسامته البطيئة الكسول.

قصدا مقهى في القرية وجلسا في الخارج على أحد المقاعد تحت الشجرة وراح النسيم يداعب وجهيهما. غرق في تصاميمها وحاولا الخروج بحلول مناسبة وهما يتلذذان بسندويشات القريدس ويحتسيان عصير الليمون المثلج.

وأخيراً استقام في وقفته قائلاً: «لنعد إلى المنزل لنرى هذه التصاميم على أرض الواقع. هل نستطيع ذلك؟ ألديك الوقت الكافي؟».

أخبرته مبتسمة: «تدبرت الأمر. كان لدي إحساس أن ذلك قد يستغرق وقتاً، كما أردت أن يتسنى لي الوقت لأدوّن كل شيء على الورق. لكن ألا يفترض بك مقابلة البنّاء؟».

ـ رأيته عند العاشرة وأنا بتصرفك لما تبقى من اليوم.

كانت ابتسامته تثير الجنون في داخلها فاستطاعت بالمجهود الجبار الذي بذلته أن تسيطر على مشاعرها تجاهه. تجهّم وجهها وأردفت:

«لنذهب إذاً».

رافقها إلى السيارة فاتحاً لها الباب وكأنها قريبة له مسنّة أو شخص مميز. لكنه لم يوحِ لها بأنها مميزة بالنسبة إليه، لذا تكهنت أنه يفترضها قريبة مسنّة له!

في طريق العودة القصير، سألته: «إذاً، كيف توصلت إلى اتفاق مع البنّاء؟».

فهز رأسه: «كان نذير شؤم، فكلهم كذلك. ليسوا موهوبين في رؤية الجانب المشرق ولكنني أعرف هذا. لقد سبق وتعاملت مع بنّائين ولديهم النغمة نفسها فكثيراً ما يرددون: «أوه حسناً، يمكننا طبعاً القيام بذلك ولكنه سيكون مكلفاً». لقد ردد الكثير من عبارات التملق وحك الرأس وما شابه ذلك من التصرُّفات ولكنه في آخر النهار، بدا منطقياً».

وطمأنته ليديا محاولة إخفاء ابتسامتها: «إنه كذلك. أمي تقول دائماً إنه بائس ولكنه يقوم بعمل رائع. عليك فقط إزالة الشؤم بحفنة من الملح ولن يحمّلك سوى عبء العمل المُسند إليه»

قال بصوت أجش ملتفتاً إلى القيادة: «هذا يحدث تغييراً إذاً. حسناً لنذهب ونرى الموقع لإكتشاف سبب الفشل في إصلاحه».

وضحكت ليديا: «آه، تحلّى بالإيمان. لقد كشفت عليه، أتذكر؟ ستجري الأمور على ما يرام».

جرت الأمور بخير فانشرح صدر ليديا وصمّما التفاصيل الدقيقة الأخيرة كما دوّنت ملاحظات قيّمة. عندئذ، التقت أعينهما عبر المطبخ القاحل والمروع وابتسم لها ابتسامة أذابت روحها. ردّ بنعومة: «أنا جدّ شاكر لك. اعتقدت فعلاً أنها ستكون المهمة الأكثر تعقيداً ولكنك جعلتها ممتعة».

حذّرته ضاحكة: «أنت لم تحصل على طلبك بعد».

ـ أنا واثق من أنه سيكون جيداً. وحتى ولو كان عكس ذلك، ما زلت

أرغب في أن تقومي أنتِ بالعمل. يبدو أننا نسير على الموجة ذاتها وأنا أود ذلك.

وعدته قائلة: «لن تُصدم».

وابتسم لها فاضطربت نبضات قلبها مجدداً بعد أن هدأت.

ـ أدرك ذلك فأنت جدّ صادقة. وعلى كل حال، سوف نصبح جيراناً. لست أغالي في التفاؤل حين أتوقّع معاملة مميزة ولكنني واثق من أنك لن تجعليه كارثة.

فكرت بكلمات أمها في الأمسية السابقة وأخفت ابتسامتها. فكرّت بصدق كلامها وتساءلت إلى متى تستطيع الاستمرار بوضع التصاميم ومقابلته من دون فضح مشاعرها نحوه. سألته آملة ألا تبدو كئيبة.

ـ متى ستعود؟

ـ ربما في عطلة الاسبوع. علي أن أسافر غداً إلى نيويورك في عمل ولن أعود قبل الجمعة. هل يناسبك الأمر أم أن عطلات الأسبوع لها أهمية خاصة؟

وضحكت: «أبي مزارع والعطلات بالنسبة إلينا هي مجرد يومين إضافيين في الأسبوع. لا تقلق بشأن ذلك».

ألقى نظرة خاطفة على ساعته ثم نظر إليها قائلاً: «سأتصل بك عند رجوعي إذاً. أتعتقدين أن هناك متسعاً من الوقت لشرب فنجان شاي قبل أن أعود إلى المدينة؟».

وسرت رجفة في عروقها فلملمت أوراقها كلها وهي تبتسم: «طبعاً وإذا كنا محظوظين، سنحظى بقطعة من كعكة ميل بالفواكه. إنها الأفضل».

وهكذا، جلسا ساعة إضافية، يشربان الشاي وينهيان ما تبقى من الكعكة اللذيذة. وما لبثت أن وصلت أمها فاقترحت عليه البقاء للعشاء وكانت الساعة قد قاربت التاسعة عندما رحل أخيراً.

رافقته إلى سيارته، واعدةً إياه بشيء ملموس قبل نهاية الأسبوع.

وبعد استراحة طويلة وفيما الجو مشحون بينهما، غمز لها بطرف عينه بإغراء قبل أن ينسلّ خلف المقود ليقود سيارته ببطء إلى البعيد.

عادت إلى المطبخ حيث كانت وجوه أفراد عائلتها مرفوعة نحوها كفرقة رماة في الجيش. كانت عيونهم مشرقة ترقباً وحشرية وكأنه غازلها فعلاً. تلوّنت وجنتاها بنعومة وعندها، بات عليها أن تتحمّل طبعهم الفضولي المتأصل. بدأت ميل وقد بدت كلماتها استجواباً: «إنه رائع».

سألت أمها بلا مبالاة مدروسة: «متى سنراه مجدداً؟».

- في عطلة الأسبوع. يود رؤية التصاميم.

ثرثرة ميل الوقحة قطعت حبل تأملاتها فنظرت شزراً إلى شقيقتها وشرحت بصبر: «إنه زبون».

ولكن ميل لم تكن تصغي. لقد كانت فتاة ذكية، لذا أهملت كل التفاصيل المهنية التافهة ودخلت في صلب الموضوع، قائلة:

- إنه رائع ومعجب بك وأنت لن تدّعي أنك لا تبالين ام أنه مهتم فقط بمطبخه العتيق الممل كما لو أنك رجل أمامه.

تلوّنت وجنتاها مجدداً فنظرت إلى البعيد، مباشرة في عيني أمها المستفسرتين التي قالت مبتسمة: «تستطيعين تخفيف اهتمامك به».

ودت ليديا لو تصرخ بهما وتنكر ذلك ولكنها لم تقدر طبعاً لأن كل كلمة قالتاها كانت صحيحة.

ردت بصراحة: «لا أريد تعقيد الأمور».

عندئذ خرج والدها عن هدوئه المعتاد وردّ بصوت أجش معبراً عن رضاه: «إنها تلك التعقيدات التي تجعل العالم يدور يا عزيزتي. لقد بدا لي لطيفاً. أفترض أنه يملك من المال ما يكفي لإصلاح المطبخ؟».

وضحكت ليديا بصوت عال: «آه، أعتقد ذلك. وهو يقطن قرب باتلرز وارف وعلى الأرجح في أحد تلك الأبنية الرائعة. قال إن شقته حديثة الطراز وأشك في أنه يفتقر إلى المال».

ردّت ماغي: «تأكدي من عدم المبالغة في الطلبات لمجرد أنه قادر

على الدفع، فتذكري أنه جارنا».

قالت ميل بجفاء: «يبدو أنها تميل إلى إرهاق كاهله سعياً إلى تسجيل النقاط لصالح عملها».

أوضحت لهم ليديا: «هراء، سأحدد السعر بدقة فهو زبون أولاً وأخيراً. أما ما تقررونه بالنسبة للحسم والتخفيضات فهذا عائد لكم، أنا مجرد مصمّمة ولدي الكثير من التصاميم لإنجازها قبل أن أنسى ما قاله».

وعلّقت ميل مجدداً: «مستحيل، فكل كلمة قالها محفورة في ذاكرتك».

لقد كان كلامها صحيحاً ولكنها لم تجد داعياً للإقرار بذلك. حضّرت لنفسها فنجاناً من القهوة وذهبت إلى المكتبة حيث أعدّت لوحة الرسم وراحت تضع تصاميمها على الورق. لم تستخدم الكمبيوتر لتصوير التصاميم المتفق عليها لأنه عملي جداً بالنسبة لنوعية العمل الذي تقوم به.

وفي المقابل، فإن تخصص ليديا في مجال هندسة الديكور الداخلي مكّنها من وضع الرسوم وتنفيذها وكانوا يستخدمون الكمبيوتر فقط للقيام بعرض مقتضب للزبون عن كافة الخيارات المطروحة أمامهم.

ما إن يتفقا على أمر حتى تتولىّ ليديا مهمة رسمه مجدداً لتجسد التفاصيل الدقيقة التي قد تستعصي على الكمبيوتر. أما بالنسبة لجايك، فلقد تعمدت ليديا تنفيذ الرسوم بدقة حتى ولو اقتضى منها ذلك، السهر طيلة الليل.

***

- واو.

غمرتها السعادة لرد فعله فلم تستطع منع نفسها من الابتسام وقالت: «هل أعجبتك؟».

- أحببتها ولا أطيق الانتظار. متى تبدئين العمل؟

هزت رأسها قائلة: «بضعة أسابيع! يحتاج البنّاء إلى قشر الجدران

وإعادة طليها في الخارج تحت السقف الواقي من المطر أما الأرضية في حجرة الطعام فتحتاج إلى ترميم، والنوافذ تحتاج إلى تصليح. وفيما يتم ذلك، نستطيع جلب القطع الجاهزة للتركيب مباشرة. وبما أنك اخترت وضع الكثير من الرفوف، فلن تبدو كارثة إذا ما ركبناها باستثناء خزانة الحائط الكبيرة التي تحتاج إلى وقت لتركيبها في موضعها المناسب».

ـ إذاً، متى يمكنك البدء بعد شراء القطع؟

ضحكت لتفاد صبره وقالت: «الأسبوع المقبل؟ الأسبوع الذي يليه؟ نحن في فترة ركود مؤقت لذا نحن محظوظون. ومع ذلك ماذا عن النموذج؟ ألا تريد حتى السؤال عنه؟

وضحك بنعومة: «لقد أخبرتك رأيي».

وضحكت ليديا ببطء، ومررت له رزمة من الأوراق على طاولة المطبخ أمامه وقالت: «حسناً، هذا لتعلم كيف ستسير الأمور. هذا هو التصور النهائي وهو مرفق بالتحليل».

كتمت أنفاسها، منتظرة أن يجفل لأنه عمل شاق ومعقد نوعاً ما وقد يتطلب الكثير من الجهد والكثير من المعدات. لكنه ألقى نظرة خاطفة واكتفى بالإيماء.

ـ هذا جيد. هل أنت واثقة من أنه كاف؟

شعرت بالتوتر يخرج منها فتنهبت إلى أنها كانت تحبس أنفاسها وقالت: «إنه يكفي وهذا هو العدل والصواب برأيي. ولكننا سنناقش هذه التفاصيل عندما نصل إليها. لن نحملك الكلفة الاضافية يا جايك».

ومنحها ابتسامة غريبة: «أعلم. هل يمكننا الذهاب لرؤيته مجدداً لنرى الخطط ونقارنها بالواقع؟».

ـ طبعاً.

جالا في منزله والتصاميم في أيديهما والنسيم العليل يحمل شذا البراعم المتفتحة. كان يوماً رائعاً ورغبت ليديا بالرقص والغناء من السعادة لأنه عاد من أميركا وأحب تصاميمها ورسومها، ولأنه هنا مجدداً.

توجها إلى المطبخ وبحثا في الموضوع مرات متعددة ثم وضع الخرائط جانباً ونظر بعمق في عينيها فكاد قلبها يتوقف عن الخفقان. همس جايك: «يجب أن نعدّله فعلاً ولكنه يبدو مهنياً بطريقة ما».

قالت مقطوعة الأنفاس: «وهل هذا صحيح؟».

قال بما يشبه الهمس وهو يقترب منها:

ـ ليديا، إن العمل معك يشعرني بالسعادة. ما رأيك أنت؟

فضحكت بنعومة وتراجعت بعيداً عنه.

ـ أعتقد أنه يمكننا العمل معاً. ألا تعتقد؟.

كانت عيناه تتأملانها وارتسمت على فمه شبه ابتسامة فضولية حميمة. رد بنعومة: «آه، أجل، أعتقد ذلك».

ردّت باضطراب وهي تجمع كل أوراقها ومخططاتها ورسومها لتسلمها له: «هذا جيد إذاً. إليك هذه النسخ. كان عليّ تثبيتها ولكنني لم أجد الوقت لذلك».

قال حانقاً وهو يضع الأوراق على أحد الرفوف المطلية: «إذاً، ماذا سيحدث الآن؟».

الآن؟ فكرت في نفسها. الآن؟ ماذا عن الآن؟ لبرهة لم تستطع التفكير بما قصده وسرت في عروقها رجفة من التوقع المرعب فبقيت صامتة.

ـ أجل، بشأن المطبخ، هل أدفع لك مقدّماً؟ هل تريدينني أن أسدد دفعة على الحساب أم تريدين الدفع بالتقسيط أو نقداً. ماذا؟؟.

غمرها مزيج من الارتياح والخيبة فردت: «آه... عليك أن تتحدث مع أمي بهذا الشأن. أعتقد أن طريقة الدفع على مراحل منطقية أكثر. إنها تقشر خشب البلوط لكنها ستعدّ الفواتير وترسلها إليك لتوقعها قبل أن نتقدم في العمل. سيمنحك هذا فترة راحة».

فهمس: «لا أحتاج إلى راحة».

شعرت بالحرارة تدب في جسمها ثم بالبرد مجدداً وقالت: «مهما يكن فهذا ما تفعله. هل نذهب لنزف لها الخبر؟».

قال مبتعداً عن الحائط وهو يبتسم لها ببطء: «كما تشائين. أو أننا نستطيع الخروج إلى مكان ما لتناول الغداء... إلا إذا كنت مشغولة؟».

لم تكن مشغولة على الإطلاق باستثناء العمل المتبقي لديها والذي وضعته جانباً ويحتاج فعلاً إلى الإنجاز قبل الإثنين. ولكن ما زال أمامها بقية العطلة فأردفت بابتسامة وهي تتساءل إذا كانت نبضات قلبها مسموعة عبر قماش قميصها الناعم: «الغداء فكرة جيدة».

كان التقدم في العمل بالمطبخ بطيئاً وقد سافر جايك لمدة أسبوعين متتاليين. عندما عاد، كان البنّاء يعمل وقد فقدت الغرفة حميميتها.

وهكذا، انتقلا إلى سائر أرجاء المنزل للتخطيط وتنفيذ التصليحات. قالت ليديا وهي تقف داخل ما كان غرفة إفطار وبعد أن رأت في زاويتها الجنوبية، بقايا مستنبت زجاجي منهار منذ وقت طويل: «تحتاج إلى بناء مستنبت زجاجي جديد».

فهمس وهو يدنو منها: «ليس بقدر ما أحتاج إليك. لقد اشتقت إليك. هونغ كونغ كانت مملة من دونك».

ـ أنا واثقة من أنها لم تكن كذلك؟

اصطحبها إلى مكانهما المعتاد لتناول الغداء فجلسا في الحديقة تحت شجرة واتكأ على جذعها فيما كان يخبرها عن هونغ كونغ وعما فعله هناك. وجدت نفسها تسأله عن شركته واكتشفت أنها في الواقع شركات وأنه مهندس اشترى شركات صغيرة واعدة تتنافس فيما بينها وساعدها على الثبات في السوق. من الواضح أن عمله يستحق الإهتمام إذا أخذنا بعين الاعتبار مكان إقامته في لندن وسلوكه الطبيعي بالنسبة إلى تكلفة المطبخ.

اتهمته مداعبة بالاستغلالية فاختفت ابتسامته وطمأنها قائلاً إنه لم يكن يوماً استغلالياً، يساعد شركة ما ويهجرها إلا إذا كان أصحابها غير شرفاء ويستأهلون ذلك. وفي هذه الحال، يبيعها ويفعل ما بوسعه لمساعدة العمّال فيها.

مازحته قائلة: «سأسميك روبن هود إذا ما أطلعتني على المزيد».

منحها ابتسامة غريبة سائلاً بصوت معتدل: «هل تحاولين القضاء عليّ؟».

ضحكت بنعومة: «وهل أنا كذلك؟».

ـ محتمل. هيا، إشربي. أريد أن نتباحث بشأن بعض الأفكار التي خططت لها لسائر المنزل.

وعادا أدراجهما فأصغت باهتمام معلّقة على كل شيء شأنها في كل الأعمال. ولاحقاً عندما ذهبا لتفقد ما قد يصبح غرفة نومه، إتكأ إلى الحائط عاقداً ذراعيه وقال: «أخبريني عمّا قد تفعلينه هنا».

فكرت أن تقول: أحبك. ولكنها استجمعت أفكارها وجالت بنظرها. كانت الغرفة جميلة، بنافذتيها الطويلتين اللتين تطلان على الحديقة، فتخيّلت نفسها مستلقية على سرير عالٍ تنظر عبر النافذة إلى الحديقة المحاذية للنهر.

قالت: «تحتاج إلى سرير ضخم بأربعة أعمدة من خشب الماهوغاني وستارة رقيقة تحيط بالقاعدة المنقوشة. أما أعلاه فمزين بنقوش ضخمة مطلية بلون الكريم لإبراز لمعان الخشب. ما من مخطط واضح في رأسي بل أفكار مشوّشة وستائر من الحرير منسدلة حوله».

كانت مسترسلة في وصفها وتحرك ذراعيها لتصف الستائر والأغطية ومفارش السرير الرائعة عندما قادها إلى غرفة الملابس وأخبرها أنه يفكر في بناء حمام رئيسي.

ـ رائع. إنه ضخم. تستطيع الحصول على واحد من تلك الحمامات الرائعة ذات الطراز الفيكتوري المزوّدة بأنابيب نحاسية تحيط بالدوش. هذه الحمامات تستهلك الكثير من المياه ولكنها رائعة. وطراز الباب قديم وكذلك الحوض والمغسلة.

ـ سيكون عليك شراء هذه الأغراض طبعاً.

ـ وأنت طبعاً تعرفين المكان المناسب.

نظرت إليه بابتسامتها المشرقة: «طبعاً. نحن نستخدمها على الدوام. هل تريد الذهاب؟».

ضحك بنعومة ورد: «أجل ولكن ليس الآن».

تابع وهو يقترب منها على مهل: «هل لديك فكرة عما تفعلينه بي؟».

ازدادت خفقات قلبها وهي تقول:

ـ فكرة واضحة ومحددة. أتخيل أنه يشبه ما تفعله بي.

وفي تلك اللحظة، توقفت الضربات وتبيّنا أصواتاً في القاعة. نادى البنّاء: «سيد ديلاني، لقد أتى السمكري للحديث معك».

فصرخ به جايك: «أتى؟ تباً له على توقيته».

وأضاف بنعومة أنه لمصلحتها فأطلقت ضحكة صغيرة مخنوقة. وجاهدت لكي تسيطر على مشاعرها.

منحها ابتسامة جريئة وقال: «فكّري بي. علي أن أذهب للتحدّث مع السمكري فيما ذهني منشغل في مكان آخر».

وابتعد فبقيت جامدة برهة تحاول استجماع أفكارها المشتتة. لم يخطر لها أن اقترابه منها يفعل بها كل هذا. كان قلبها يغني ويزقزق بطرق لم تتخيل وجودها حتى الآن.

لم تعرف هذه المشاعر من قبل. وأحست فجأة أنها تضعف بسرعة أمامه، وأدركت أن قرارها بعدم التورّط مع أيّ رجل سيتبخر إذا ما أصر جايك على التقرّب منها.

ولكنه لم يتعدَ حدوده، لا في ذلك اليوم ولا حتى في الأسبوع التالي عندما خرجا معاً لتناول العشاء. لقد أوصلها إلى المنزل، ثم قال عندما أوصلها: «أحتاج إلى قهوة».

ـ حسناً تعال إلى الداخل.

كان المنزل صامتاً. كل الأنوار مطفأة باستثناء ضوء المطبخ الذي تُرك من أجلها، فأخبرته: «لقد خلدوا إلى الفراش».

وفيما كان الإبريق يغلي، مال ناحيتها وهمس في أذنها: «أحتاجك».

فهمست متراجعة بعيداً عنه: «أوه... لا، ليس قبل أن أتزوج. لن أدع صاحب كلام معسول مثلك يغريني».

حدق في عينيها بحشرية مصممة وقال بخفة في الوقت الذي أطلت فيه ميل: «إذاً، سيكون علي أن أتزوج منك. أليس كذلك؟».

وصرخت ميل ضاحكة وهي تعانقهما وتضحك وتبكي في الوقت نفسه: «آه، يا إلهي، أنتما ستتزوجان».

ـ مهلاً، انتظري.

حاولت أن توضح الموقف إلا أن مجيء والديها قطع عليها الكلام.

وأخبرت ميل الأهل قبل أن تجري تاركة الهرج والمرج وراءها: «إنهما يعتزمان الزواج».

وما هي إلا بضعة أسابيع حتى راحت تفكّر في ما كانت تفعله وتبينّ لها أنها لم توافق أبداً على الزواج به حين طلب يدها وأنه في الواقع لم يقل لها ولو لمرة واحدة أنه يحبها.

***

٥ ـ جمرة الندم

ـ وأخيراً عدتما! لقد بدأت أتساءل عما حدث لكما بحق الله!

تنبهت ليديا وأجبرت على العودة إلى أرض الواقع فما من فائدة ترجى من اجترار الماضي مجدداً . فتحت الباب وهي ترسم ابتسامة أملت أن تكون مقنعة لأمها وأعلنت: «آسفة. ذهبنا لقطف الفراولة ونسينا الوقت».

ـ لست بحاجة لإخباري فيداك ملطختان. هل جلبتما الكثير؟

ـ أجل. سأعد بودينغ بالفواكه.

ـ آه، رائع... هل تذكرت قبعتي على فكرة؟

ـ أجل طبعاً. وفي أيّ حال، تعرفين أن جايك لم يكن ليتركني أنساها.

وسألت ماغي وهي تساعدهما في حمل سلال الفواكه إلى المطبخ: «ماذا عن الفستان؟».

ـ جيد، يمكنها أن تتولى أمره. سأزورها صباح الأربعاء.

وظهر جايك وراءهما ممسكاً بآخر سلة وأخبر أمها: «لم أرَ أحداً يأكل الفراولة على هذا الشكل لذا آمل ألا يزداد وزنها. أشك بأن يلائمها الثوب نهار الأربعاء إذا ما بقيت تأكل مثلما فعلت اليوم».

قالت والدتها وهي تدرس ملامح ابنتها بدقة: «حسناً، قد يناسبها أن تكسب بعض الوزن إذ تبدو على الأقل أكثر ارتياحاً مما كانت عليه عند رجوعها».

فقالت ليديا وهي تضع الزبيب على الطاولة وتحدق إليهما معاً:

«عذراً. أنا هنا؟».

ضحكت أمها وعانقتها: «أنت رائعة. لا أبالي ما إذا كنت سمينة أو نحيفة ومن الجميل أن تعودي إلى البيت. لقد اشتقت إليك! كلنا فعلنا».

لاحظت من فوق كتف أمها أن محيا جايك إكتسى بالألم وأحست بوخزة من الذنب. كانت قد بدأت تعتقد أنه يهتم لأمرها وربما أكثر مما قاله لكنه ما زال يرفض الإفصاح عن ذلك.

ربما تتيح لهما الحفلة في لندن فرصة اختبار مشاعرهما بعيداً عن استفهامات وتدخلات عائلتها.

قال متوجهاً نحو الباب: «جيد. عليّ الذهاب فلدي مخابرات أجريها».

فسألت ماغي والخيبة بادية في صوتها: «ألا تستطيع البقاء لشرب الشاي؟».

ولكنه هز رأسه بالنفي: «ليس لدي وقت، آسف. ربما في يوم آخر».

غريب!! كم بدت الغرفة موحشة من دونه.

وألقت عليها أمها نظرة فاحصة وسألتها بلطف: «هل أنت بخير؟».

فأومأت ليديا: «أجل، أنا بخير».

وأكملت ليديا في سرها: حائرة... مضطربة، ولكنني حيّة أرزق على الأقل، وللمرة الأولى منذ سنة.

فرددت وهي تلتقط الفاكهة: «أنا بخير. حسناً بشأن هذا البودينغ الصيفي. فكرت بتحضير واحد لنا وآخر لجايك».

ـ أو يمكنك إعداد واحد كبير ودعوته غداً على العشاء، فهو غالباً ما يأكل معنا عندما يكون هنا. لمَ لا تقترحين عليه ذلك؟

سيكون عليها قضاء الأمسية برفقته بحضور كل أفراد عائلتها ليراقبوا ويعلّقوا على كل كلمة تصدر عنهما؟

لكن هذه الفكرة تبقى أفضل من قضاء الأمسية من دونه، فقالت: «حسناً سأتحدث إليه عندما أراه».

وسألت ميل وهي تدخل المطبخ وطوم خلفها مباشرة: «عندما ترين من؟؟».

ـ جايك. أمي تريدني أن أدعوه غداً على العشاء.

وعرض طوم عليها: «سأدعوه بنفسي».

قالت ليديا منتقدة إياهما: «أنتما الإثنان مقززان».

لم تشعر بالاشمئزاز بل بالغيرة بينها وبين نفسها. فمنذ عودتها، وهي تحاول استكشاف مشاعر جايك تجاهها، إنها تتوق للمشاعر التي يتشاطرها ميل وطوم ولكن حلمها بدا مستحيلاً.

سألته ماغي: «هل ستبقى للعشاء يا طوم؟».

تساءلت ليديا عما يفعله جايك على العشاء وما إذا كان يود الانضمام إليهم الليلة والغد أيضاً. فقال طوم: «أعتقد أن جايك يخطط للعودة الليلة إلى البلدة لإنهاء بعض الأعمال المتأخرة وليجلب بذلتينا في الصباح لذا ربما لن يأتي. أعتقد أنه من الأفضل لي أن أرافقه لتسوية بعض الأمور في الشقة. ميل. هل ترافقينني؟».

فأعلنت أمها بحزم: «كلا لن ترافقك. فهناك الكثير من العمل وأنا متفاجئة بك يا طوم وما زلت عاتبة عليك لأنك أخذتها بعيداً هذا الصباح».

واحتجّ طوم ضاحكاً: «لم أكن السبب، هي التي حملتني فهي ساحرة كما أنها ابنتك ويفترض بك معرفة ذلك».

كانت واثقة من أن ميل الطائشة هي السبب في تواريهما عن الأنظار هذا الصباح وليس طوم الصريح والصبور.

قالت ميل بابتسامة غريبة وهي تتبع طوم إلى الخارج: «أعتقد أن ذلك يجيب عن سؤالك».

بعد خمس دقائق، عادت والابتسامة تعلو ثغرها وعيناها تلمعان بشكل ملفت. فكرت ليديا ثانية بأن شقيقتها محظوظة.

قالت ماغي مبتسمة بدفء لإبنتها: «وهكذا، لم يبق إلاّ نحن على العشاء، سيكون هذا جميلاً».

كان العشاء جميلاً، حميماً وعائلياً بعيداً عن التوتر وخلدت ليديا للنوم باكراً. أنهت الكتاب الذي بدأت بمطالعته على الطائرة ثم غطت في نوم عميق حالمة بجايك. عندما صحت، كانت وسادتها رطبة ووجهها مبللاً بالدموع.

وفي العاشرة من صباح اليوم التالي، أجابت على الهاتف فكان جايك المتصل: «هاي، نحن في البلدة وسنذهب لاحضار البزات الآن ولكنني فهمت أن أمك دعتني للانضمام إليكم على العشاء الليلة».

فأكدت له بدورها مترقبة جوابه وهي تحبس أنفاسها: «هذا صحيح».

ـ لدي فكرة أفضل. لم لا تأتون كلكم إلى منزلي؟ سأطهو لكم.

سألته بحذر: «وهل تقدر؟».

فضحك مذكّراً إياها: «أنا في الثلاثين يا ليديا وطبعاً أستطيع أن أطهو. كيف تظنين أنني أعيش؟ من الوجبات السريعة؟».

فردت: «ربما. على أيّ حال، قمت بإعداد البودينغ».

ـ إجلبيه فهو سيكون الطبق الرئيسي ونستطيع الاستعانة به في حال عدم نجاح سائر الأطباق. سأنتظركم حوالى الساعة السابعة إلا إذا كنت تريدين المجيء لمساعدتي؟».

واكتشفت أنها تود ذلك فسألته: «في أيّ ساعة تريدني أن أحضر؟».

خيّل إليها أنها تسمعه يفكر وقال: «الخامسة؟ تستطيعين تحضير الخضار فأنا أكره تقشير الجزر. فكّرت في تحضير اللحم المطبوخ وحساء الجزر الذي يتماشى معه».

ـ حسنا سآتي عند الخامسة مرتدية المئزر لأكتشف الأخطاء التي ارتكبتها في تصميم مطبخك.

فضحك قائلاً: «حسناً. أراكِ لاحقاً. يمكنك مساعدتي في اختيار العصير».

وضعت سماعة الهاتف متنهدة ثم التفتت لتجد أمها تنظر إليها بفضول سائلة: «هل هذا جايك؟».

فأومأت ليديا: «أجل، يريدنا أن نتناول العشاء عنده».

ـ جيد، فهو طباخ ماهر وأنا مشغولة جداً بترتيبات هذا الزفاف لدرجة أنني سأصرخ. عزيزتي، هل يمكنك إسداء معروف لي قبل الذهاب إلى هناك ووضع هدايا الزفاف في غرفة الطعام؟ لن نأكل هناك مرة ثانية قبل الزفاف وبات المكان هناك مكدّساً. بالإضافة إلى ذلك، سيوّد الجميع إلقاء نظرة عليها. تحتاج تلك المجموعة من الهدايا إلى بطاقات، فأنا أضع معها بطاقة باسم مرسلها، فسيكون ذلك واضحاً».

طبعاً، كان ذلك واضحاً وعملياً. لقد سبق لها أن قامت بالعمل نفسه السنة الماضية وذهب جهدها هباءً.

حسناً، ربما لم يذهب ذلك هباءً. لقد وضب طوم وميل هداياها وأعاداها إلى المدعوين فنما الحب بينهما، فيما هي وجايك...

قاطعت أفكارها مركزة على عملها وعندما انتهت منه، كان موعد الغداء قد حان وبدت الهدايا رائعة في مكانها. أخبرت أمها وهي تجلس إلى مائدة المطبخ لتصب فنجان قهوة: «لقد أنجزت ما طلبته، فهل من شيء آخر أقومُ به؟».

ـ ليس في الوقت الحاضر. إبقي معي وحدثيني. لقد وردني للتو اتصال من مربي الحيوانات الذي أحضرنا «موللي» منه يقول إن كلبة أخرى أنجبت اثني عشر جرواً فحجزت لنا واحداً وسيكون علينا الذهاب بعد الزفاف لاختيار واحد منها. هل تريدين المجيء معي؟

ـ أود ذلك إذ يبدو المكان هنا غريباً فعلاً من دون كلب. أعتقد أنها المرة الأولى.

ـ إنه كذلك. ولكن مع اقتراب الزفاف، لا أعتقد أنني قادرة على التركيز على جرو جديد. وبأي حال، أردت واحداً من أقرباء موللي فأنا أشتاق إليها.

صمتتا، فاسترجع كل منهما في ذاكرته الكلب العجوز العزيز الذي كان جزءاً من حياتهما لمدة طويلة. وبعد لحظات، تنهدت ماغي

ونهضت: «لديّ زبونة ستأتي بعد الظهر ولم أستطع إرجاء موعدها فهي مصمِّمة. لذا أعتقد أنه من الأفضل لي أن أكون جاهزة».

وعرضت ليديا: «هل أعدّ شيئاً لنا للغداء؟».

ـ باركك الله. والدك في مكتبه في المزرعة. ناديه عندما تنتهين. ميل عند بائع الزهور.

ولم تتأخر طويلاً. حضّرت السلطة المنعشة الطازجة الباردة في هذا اليوم الحارّ الأخير من حزيران ومن ثم تمشّت نحو المزرعة لتخبر والدها أن الغداء جاهز. وفي طريق العودة، لمحت سيارة جايك تمر في الزقاق وقفز قلبها بين ضلوعها.

أحست بالسخف لإحساسها بالحيوية لمجرد أنه عاد إلى الجوار ثانية. حسناً، ستتخلص من تأثيره عليها لأنه سيغادر ما إن يبيع المنزل.

هزت رأسها كما لو أنها تطرد تلك الأفكار الكئيبة وأطلت برأسها من باب المكتب، فابتسم لها مدير المزرعة قائلاً: «مرحباً ليديا، أهلاً بعودتك. أدخلي ولا تترددي. هل من خدمة أستطيع أن أقدمها لك؟».

بادلته الابتسام وخطت نحو الداخل قائلة: «مرحباً جيم. كنت أبحث عن والدي. ظننت أنه هنا».

ـ لن يتأخر طويلاً فلقد ذهب للتو إلى أعلى الحقول مع آندرو لتفقد الشعير. لا أصدق أنه بات جاهزاً للحصاد فالموسم مبكر جداً.

وأخبرته ليديا: «لقد قطفنا ثمار العليق والتوت الاسود أمس فضلاً عن الفراولة التي نضجت في موعد مبكر جداً».

تسامرا لفترة حول الطقس والوضع الإداري في المزرعة وحول مولود جيم الجديد ومدى تقبّل ولديه للوضع. ولكن اهتمامها كان مشتتاً طوال الوقت ومركزاً على بعد مسافة قصيرة عند أسفل الطريق، في منزل أحبته بقدر منزلها. كيف يمكنه احتمال تركه؟

ـ مرحباً عزيزتي. أتبحثين عني؟

والتفتت نحو الباب وابتسمت لرؤية والدها قائلة: «أجل، فالغداء

حاضر متى تريد، وهو عبارة عن سلطة. سينتظر ما دمت مشغولاً».

قال بصوت أبح محيطاً كتفيها بذراعه: «بوجود الطعام، لا مكان للعمل. بحق الله يا فتاة، أنت تنحلين. هيا لنذهب لإطعامك قليلاً. سأعود بعد نصف ساعة يا جيم. أراك لاحقاً».

ـ حسناً، يا رئيس.

توجها إلى المنزل ودخلا المطبخ حيث كان طوم وجايك يستندان إلى الرفوف فبدا حجم المطبخ ضئيلاً مقارنة مع بنيتهما الضخمة.

سألتها ماغي: «هل يمكنك إعداد المائدة؟».

فهزت برأسها، محاولةً كبت نبضات قلبها المتحمسّة وقالت: «طبعاً. سأفرم المزيد من الخضار للسلطة ولدينا الكثير من اللحم، والدجاج والجبن».

ردّت ماغي ضاحكة: «لقد تأكدت بنفسي من ذلك، فآخر شيء وددت التفكير فيه هذا الأسبوع، هو الأكل».

فقال ريموند وهو يميل ناحيتها تحت أنظار ليديا فيما كانت تضربه ضاحكة وتدفعه بعيداً: «ستشعرين بالضياع عندما ينتهي الزفاف ولن يكون لديك أمر لتقلقي عليه».

فأمرته محاولة أن تكون لها الكلمة الأخيرة كالعادة: «أغسل يديك».

فابتسم بتسامح واستدار نحو المغسلة. تنهدت ليديا وتساءلت هل ستجد أحداً تشعر معه بهذا الارتياح. حتى مع جايك الذي تحبه بجنون، كانت تشعر بالتوتر والانفعال في معظم الوقت. ربما بسبب كل هذه المواضيع المعلقّة وتعذيب الضمير.

وصلت ميل فيما كانوا يجلسون حول المائدة ودخلت برفقة طوم وسألته: «كيف كانت لندن؟».

ـ كثيرة الانشغال، مزدحمة. ورغم ذلك أصبحت الشقة أرتب مما كانت عليه فقد نظفت بدوري الثلاّجة.

ـ مذهل. كنت أتصوّر أنّ زهوراً بريّة كبيرة قد نبتت فيها.

فقال ضاحكاً: «إنها توشك على التفتح».

سحبت كرسياً قربه وراحت تلتهم السلطة ثم سألت جايك وهي تتناول طبق السلطة: «إذاً، ماذا حضّرت لنا للعشاء يا جايك؟ هل سنكون بخير أم أننا سنصاب بتسمّم قبل الزفاف؟».

رد ممازحاً: «أتوقع ذلك. أضفت قطعة من سمك السلمون الطازج إلى مرقة اللحم من باب الاحتياط فقط. أما البودينغ فوضعنا فيه بيضاً نيئاً».

وصححت له ليديا: «كاذب. إنها بودينغ بالفواكه».

فعبس وقال: «كان علي أن أقول إنها إحدى حلوى البودينغ».

فتأوهت متذمرة: «أنت مصمم على التأكيد على أنّ ذلك الفستان لن يناسبني. أليس كذلك؟».

سعل جايك ولكن ميل قالت وقد بدا عليها الحذر: «أي ثوب؟ ليس ثوب الوصيفة؟ إياك والإفراط في الأكل».

وضعت ليديا شوكتها ضاحكة: «لا داعي للتأثر كثيراً».

وتذمرت بطبيعتها العفوية وبحثت عن جايك لإنقاذها فقالت له: «أعتقد أنك تريد المساعدة طيلة بعض الظهر. أليس كذلك؟».

سعل قائلاً: «كما تريدين، فليس هناك الكثير للقيام به. ولكنني واثق من أنني أستطيع أن أجد لك ما تفعلينه. يمكنك تنظيف العليّة أو أيّ شيء آخر إذا أردت».

ردت بجفاء: «يبدو ذلك جيداً فأي شيء أفضل من البقاء هنا والتعرّض للانتقاد والحرج».

ضحك الجميع لكلامها ولكنها بدت جدية نوعاً ما. فكل هذه الصداقة الحميمة والبهجة الصاخبة بدأت توتر أعصابها لكنها لا تعلم ما إذا كانت ستنتهي مع انتهاء هذا الأسبوع.

أرادت فقط مكاناً تذهب إليه لتنعم بالهدوء وبدا لها مطبخ جايك الجميل المصنوع من قشرة الجوز والمطل على الحديقة مكاناً مثالياً.

وفجأة بدا لها في قلة الحديث المتبادل بينهما نقطة ايجابية. واقترحت ماغي: «قهوة!».

فهز جايك رأسه بالنفي قائلاً: «لدي عشاء أحضّره لذا لن أشرب القهوة شكراً. علي الإسراع».

التفتت ليديا إليه وهو يقف فأدار رأسه نحو الباب رافعاً حاجبيه بتساؤل، فهمست دافعة كرسيها إلى الوراء: «فكرة حسنة. ميل، طوم يمكنكما تنظيف المائدة، أليس كذلك يا عزيزيّ؟ سأذهب لأراقب السلمون».

تبعت جايك إلى الخارج. وفيما كانت تعبر المدخل، استطاعت سماع ميل تتنهد بنعومة هامسة: «نحن نعلم ما تفعلينه».

فأسكتتها أمها بسرعة.

هل سمعها جايك؟ أرجوك لا يا إلهي. فكرت ليديا في سرّها آملة أن يكون الحظ لمرة واحدة إلى جانبها. صعد إلى سيارته تاركاً الباب الأمامي مفتوحاً من أجلها فانسلت في المقعد وأغلقت الباب متنهدة.

قال بصوت مبحوح: «أنت تتوقعين الكثير. أليس كذلك؟».

أدارت رأسها المسند إلى المقعد وابتسمت له: «شكراً لتفهمُّك. بدأت أحس أنني مخبولة».

- إنهم طيبون.

- أعلم ولكن بعد مرور سنة من البعاد، يمكن أن يصبح الوضع خانقاً.

خانقاً؟ هل كان ذلك بسبب عائلتها أم بسبب الحياة العائلية عامة أو الناس عموماً. هل هذا يشمله أو أنه مستثنى؟ الله وحده يعلم الجواب كما فكّر جايك في سره.

تنّهد وأدار المحرك. قطع المسافة القصيرة نحو منزله وحمل أكياس الملابس من المقعد الخلفي سائلاً ليديا: «هلا جلبْتِ القبعات إلى الداخل؟».

تبعته مع صندوقين واجتازت العتبة البيضاء اللامعة ومنها إلى الدرجات المؤدية إلى غرفة نومه. علّق أكياس الملابس على باب خزانته والتفت لأخذ القبعتين منها ففوجىء بنظرة الشوق والحزن في عينيها. كانت تنظر إلى السرير وكأنها تتوق إليه وكانت حزينة لسبب لم يستطع أن يكتشفه.

قد تكون الغرفة سبب حزنها أم هو السرير بحد ذاته أم أن مؤسسة الزواج كلها أو حتى هروبها من أهلها، كل شيء تقريباً وكان شبه متأكد من أنّ اسمه مدرج على اللائحة. اقترح عليها القهوة فانتفضت بخفة واستدارت نحوه بابتسامة متحفظة: «شكراً سيكون الأمر جيداً. ماذا سأفعل بهاتين؟».

- سأضعهما أرضاً.

ألقاهما بلا مبالاة قرب الخزانة وحثها على الخروج من الغرفة التي سكنت فيها في اغلب أحلامه.

عليهما أن يعودا إلى أمان المطبخ، فسيتحسن الوضع بينهما كما فكر جايك.

وضع الابريق على النار واستقرت بدورها على كرسي قرب الطاولة واضعة رأسها بين يديها. وابتسمت وأخبرته بسرور: «أحب هذا المطبخ».

- جيد، وأنا أيضاً.

- وهكذا إذاً، سارت الأمور بخير، التجهيزات وخلافها؟

- تماماً. لقد تم التجهيز والتركيب بسرعة بالغة ولم يطرأ أي عطل فيها.

ضحكت قائلة: «يبدو أنه رقم قياسي».

- أنا متأكد من أنه ليس كذلك. لقد كان محط إعجاب كل الناس الذين أتوا للتفرّج على المنزل.

وتجهم وجهها قليلاً فسألت: «وهل من جديد؟».

ـ المرأة التي ودّت أن تسرق فراش الكلب، تريده على ما يبدو. وكذلك الأمر بالنسبة للذين أتيا نهار السبت صباحاً. ويفترض أن يأتي أحدهم غداً ولكنني قد أضطر إلى تأجيل الموعد بما أننا ذاهبان إلى لندن. إذا كانا ذكيين، سيمكثان هنا بضعة أيام.

على أيّ حال، منذ أن قالت ليديا رأيها في مسألة بيع شيء عزيز للغرباء، أحس فجأة بالضياع لبيعه المنزل إلى شخص آخر.

وبالإضافة إلى ذلك، فهو ما إن يبيع المنزل، حتى يحرم من رؤيتها. وبما أنه لا يهوى تعذيب نفسه، لم يكن واثقاً من أنه جاهز للقيام بهذه الخطوة بعد. أعدّ القهوة متأملاً بصمت وقدم لها فنجانها على الطاولة.

أرجع المقعد إلى الوراء ليتسنى له الجلوس عليه وأمسك الكوب، مستنشقاً البخار المتصاعد منه ومركزاً انتباهه على رائحة القهوة... على أي شيء يساعده على طرد فكرة عدم رؤيتها مجدداً.

ـ إذاً ماذا هنالك للعشاء؟ هل أحضرت اللحم؟

أومأ إيجاباً وأضاف: «والجزر والبزلاء والبطاطا الحلوة الصغيرة والتفاح المطهو لإعداد الصلصة. كما فكرت بتحضير الشوكولا المحشو ليتناسب مع البودينغ بالفواكه».

نظرت إليه بذهول ففكر مجدداً، كم يعرفان القليل عن بعضهما. كان يود أن يسألها عن «ليو» إذ كان يفكر بالرجل في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة ولكن الإحساس الذي يشعر به يبدو مشابهاً تقريباً للغيرة. ولكن من السخافة الإحساس بالغيرة من رجل ميت.

إن التنافس مع شبح مستحيلا فلقد كان على علاقة بأرملة في الماضي وقد فشلت لأنه لم يستطع العيش مع ظل رجل ميت. لم يكن متشوقاً لتكرار المحاولة مجدداً. وبأية حال، لم يكن يعلم سبب رحيلها الحقيقي.

***

كانت أمسية جيّدة، إذ ترفّقت عائلتها بها فتركتها وشأنها واحتل ميل

وطوم محور النقاش هذه المرة، فتسنى لليديا بذلك الاسترخاء والاستمتاع. كان الطعام لذيذاً وقد صدقت أمها فهو طباخ ممتاز. لم تكن الأطباق معقدة ولكن مكوّناتها جيدة ومطبوخة بامتياز ومقدّمة ببساطة.

كانت الطريقة الفضلى للأكل. وفكرت ليديا أنها غالباً ما تكون الطريقة الأصعب في التنفيذ لأن كل شيء يجب أن يكون متناسقاً. لم يكن عليها طبعاً أن تتفاجأ لأن مهندساً يستطيع القيام بأمور دقيقة كهذه فوالدها لا يستطيع غلي الماء لذا فإنه أمر وراثي كما أقرت به لنفسها.

غادر والداهما في العاشرة وتطوّعت ليديا للبقاء والتنظيف. بدا الامتنان على طوم وميل فانسحبا للقيام بنزهة في الحديقة. باتا وحيدين فاخبرته بصراحة: «كان العشاء لذيذاً».

فمنحها ابتسامة صبور وقال: «قلت لك إن بإمكاني الطهو».

فدمدمت: «يمكنك أن تكون ذواقاً».

ضحك وتناول منها الصحون الثقيلة ثم وضعها في الجلاّية قائلاً: «أقدر، ولكنني لست كذلك. أعرف نقاط ضعفي وقوتي».

سألته مازحة: «وما هي نقاط ضعفك؟».

اختفت ابتسامته لبرهة وحسبته يهمس من بين أنفاسه: «أنت»

ولكن يبدو أنها تخيلت ذلك. لا بد أنه زفر أنفاسه..

أجاب بخفة واختفى عائداً إلى غرفة الطعام: «لا أملك ما أقرّ به».

تبعته جامعة الأكواب المتبقية. وفي غضون دقائق، عاد المكان إلى سابق عهده فأجابها: «سأرافقك إلى المنزل».

ـ ما من داع لذلك فالمنزل قريب.

ـ سأرافقكِ إليه.

كانت تعرفه بما يكفي لتدرك أنه لن يستسلم، لذا انتعلت حذاءها مجدداً والتقطت حقيبتها مبتسمة.

ـ حسناً، أنا جاهزة.

ـ سأترك ملاحظة لميل وطوم. أعتقد أنهما في المنزل الصيفي، إنها

أمسية جميلة.

كانت أمسية جميلة، السماء صافية مرصعة بالنجوم البراقة الذهبية التي تلمع فوق رأسيهما كالماس. عبير الزهور كان عابقاً في الجو وكذلك رائحة التبغ والأشجار المنتشرة من حولهما وتنهدت منتشية.

همس: «رائع. أليس كذلك؟».

وأحست بذراعه تحيط كتفيها لتدنيها منه. وفيما كانا يتنزهان، شعرت بضربات وركه على جسدها فتناغمت مع خطواته وكأنهما شخص واحد من دون أن يكون هناك رباط بينهما.

أحسّت براحة البال في جواره لا بالتوتر. هل كان يتلاعب بها أم أنه يحاول بصدق إعادة بناء الجسور بينهما تسهيلاً للمستقبل؟

كانت شبه واثقة من أنه لم يكن يقوم بذلك للأسباب التي خطرت لها. ولكن عندما اقتربا من منزلها، جذبها نحوه بسرعة بعيداً عن الأضواء وأدارها بلطف بين ذراعيه وهمس: «شكراً على مساعدتك اليوم».

تسمرت نظراتها على وجهه وتمنت أن تطول هذه اللحظات إلى الأبد.

وعندما لم تتحرك من مكانها قال بنعومة: «والداك في المطبخ ولا أريد أن أسبب لهما القلق. على أيّ، هناك دائماً غد أفضل».

وفكرت في سرها أنها في الغد ستذهب معه إلى لندن وتمضي معه بعض الوقت في شقته الفاخرة التي لطالما مدحتها ميل، قبل أن يذهبا إلى الحفل وسيعودان بعدها إليها لقضاء الليل.

وسرت رعشة من التوقع في أوصالها فحررها بلطف قائلاً: «عليّ الذهاب. شكراً على المساعدة. أراك غداً صباحاً عند العاشرة. هل يناسبك؟ يمكننا الذهاب لإحضار ثيابك ومن ثم الرحيل».

سألته مفكرةً بالحفلة وبما سترتديه فيها: «ماذا علي أن أحضر معي؟».

ـ لا تحضري شيئاً أنيقاً فهذه حفلة شواء عادية ولا بد أن تكون مسلية. فستانك الأزرق مثلاً؟ آه وأحضري معك ثوباً للسباحة فلديهم حوض.

حوض؟ لم تره قط في أقل من بنطلون جينز وقميص أو شورت خلال المدة القصيرة التي عرفته فيها. مال ناحيتها ثم همس: «عمت مساءً ايتها الأميرة».

استدار على عقبيه ومشى مبتعداً عنها بسرعة، وراح الرخام يردد وقع خطواته. وعندما لم تعد تتبين قامته أو تسمعه، استدارت بدورها ودخلت المنزل.

كان قلبها يصدح من الفرح، ولأنها سترافقه في الغد إلى لندن. وربما، فقط ربما قد تحصل على فرصة أخرى.

* * *

٦ ـ حلم ليلة يتبخر

ـ هل أحضرت كل شيء؟

أومأت ليديا وأسندت رأسها بتحفظ على المقعد مطلقة تنهيدة عميقة وقالت: «أجل، جلبت كل شيء».

عندئذ، راودها الشك ومالت برأسها نحوه: «حسناً ليس كل شيء، لم تلمحْ إلى أني أحتاج الكثير. لقد أحضرت ثوباً وبزة سباحة ومنشفة وثياب احتياطية. هل يفي ذلك بالغرض؟».

ملأ سعاله العميق والمتحشرج السيارة فبعث الرعشة في أوصالها وقال: «أتوقع أن يفي بالغرض. لننطلق إذاً قبل أن يجدوا شيئاً آخر لإعاقتك».

ردت بجفاء: «واثقة من أنهم سيتدبرون أمرهم بدوني».

كانت شديدة السعادة للابتعاد عن تحضيرات الزفاف التي تشبه وضع الملح على الجرح. لم تكن واثقة أيّهما أسوأ، مراقبة ميل وطوم وحسدهما على سعادتهما أم مرافقة جايك والتفكير بما كان يمكن أن يكون عليه الوضع بينهما.

وأملى عليها المنطق أن أياً من الوضعين لا يشكل فعلاً الحل الأمثل لها. ولكنها كانت في الوقت الحاضر هنا، قربه وهي لم تأتِ لتجادل.

كانت السيارة ناعمة وهادئة تقطع المسافات بسهولة بالغة وكانت سعيدة بالاسترخاء وبالتزام الصمت خلال الأميال التي قطعاها. فكرت

ليديا أنّ من الغرابة أن يسود بينهما التفاهم حتى عندما لا يتكلمان!

بعد إحضار فستانها، لم يبدُ الوقت طويلاً قبل أن يصلا إلى مشارف لندن. عندئذٍ، تمهلا وفي النهاية انعطفا شمالاً قبل البرج، ثم عبرا الجسر فوصلا إلى مقصدهما.

كانت مصيبة بالطبع في الافتراض بأن شقته راقية ولكنها كانت أكثر من ذلك. كانت منزلاً. منزله المليء بأشيائه الشخصية نوعاً ما التي لم يحوها بعد أو لن يحويها منزله الكائن في «سافولك» في حال بيعه. عكس المنزل شخصيته الحقيقية بشكل أو بآخر، الرجل الذي لم تتعرف إليه أبداً. وتشبثت عيناها بأي تفصيل صغير: الأبواب الكبير المنزلقة المطلة على شرفة تطل على النهر، السقف العالي، السلّم الحديدي الأسود المستدير والمؤدي إلى الدور المتوسط المبني من جهة واحدة في جوار النافذة. ويقع المطبخ في الدور السفلي حيث رأت باباً يؤدي إلى غرف النوم على الأرجح.

غرفة النوم؟ دق قلبها بسرعة فأجبرت نفسها على التركيز. بإمكانها النوم على الأرض لو اقتضى الأمر ـ إذا ما رغبت بذلك.

كانت الجدران بيضاء وأرضية الغرفة الخشبية فاتحة أما العارضات الحديدية السوداء فممتدة على مدى اتساع السقف.

بدا كل شيء نظيفاً وعصرياً بطريقة غريبة. على لوحة خشبية تستخدم كطاولة، ترك كوب وجريدة مفتوحة قربه. أما الأثاث الرمادي السويدي الناعم فيبدو مريحاً مغرياً للجلوس عليه.

كانت الشقة مذهلة ولكنها بدت مرحِّبة أيضاً فشعرت بالاسترخاء. عرض عليها جايك: «أتريدين فنجاناً من الشاي؟».

فأومأت برأسها: «أرجوك».

مشت بثقل مشدوهة بالجدران الزجاجية. وبعد لحظة، ظهر إلى جانبها وضغط على المقبض ففتحت الأبواب مفسحة لها الطريق للعبور إلى الشرفة. خطت إلى الخارج، تتنشق رائحة النهر والمدينة المزدحمة

وراءه، فسُحرت.

- يمكنك رؤية جسر البرج من هنا على يسارك.

وأدارت رأسها فإذا بالأبراج المربعة منتصبة بوضوح في مهب الهواء. وتحتها، رأت الناس يتنزهون على طول ضفاف النهر والمراكب تشق ببطء عباب المياه الداكنة تاركة وراءها زبداً سرعان ما يضمحل في ثوان.

- المكان هنا جميل.

ضحك ببطء من خلفها وقال: «تبدين مندهشة».

- أنا مندهشة ليس لأنه رائع فحسب بل لأنني أحب المكان فهو ليس شاهقاً ولا متطرّفاً ليجعلني أشعر بالانزعاج.

- وهل أنت مرتاحة؟

فأكدت له، وهي تستدير ببطء مبتسمة: «أجل، أنا مرتاحة فالسكينة تعم المكان مع أننا وسط لندن. بطريقة ما أتفهم لما تريد قضاء المزيد من الوقت هنا».

التقت أعينهما فشعر بوخزة في ظهره. عندئذ، استدار جانباً وقال: «سأريك غرفتك».

قال كلمته مجيباً بذلك على أحد تساؤلاتها والتقط حقيبتها ثم توجه نحو الباب معلناً: «ليس لديك شرفة ولكنها تطل على النهر وفيها حمامها الخاص».

كانت الغرفة بسيطة كسائر أنحاء الشقة، أثاث متقشف في الغالب ولكنه عملي. سرير عادي مع مفارش بيضاء مرتبة، أما جدرانها فمطلية باللون الأبيض. كان الباب مفتوحاً قليلاً فرأت حماماً أبيض مزوداً بتجهيزات حديثة متقنة الصنع.

قال: «سأتركك لتغتسلي وسأعد الشاي بانتظار خروجك».

وضع حقيبتها الصغيرة على الأرض عند قائمة السرير فشكرته وانتظرت رحيله لتسير نحو النافذة. يبدو العديد من الناس منهمكين كما فكرت ليديا متأملة في أحوالهم. كم عدد السعداء منهم وكم منهم، على

مثالها، يجهلون ما يخبىء لهم المستقبل؟

اغتسلت مستخدمة مجموعة المستحضرات الرائعة الخاصة به وفكرت في أن كلفة السجادات وحدها تفوق ما كلفه تجهيز الحمام العائلي بكامله. إنه نظيف وخطوطه محددة أمّا طريقة تصميمه فوضعت لجعل معدات الحمام العملية أدوات جمالية.

تأملت لبديا في تفاصيله المتقنة وذُهلت لاختياره شركة عائلتها لتصميم مطبخه وللحرية المطلقة التي منحها إياها. فمن الواضح أنه صاحب ثروة وبإمكانه تحملّ نفقات أيّ كان. لا شك أنّ النساء اللواتي يختارهن من الطبقة الغنية نفسها. والتفتت بيأس إلى شعرها في المرآة فمررت فرشاة فيه وخرجت من الحمام.

عندما خرجت، لم تلاحظ وجوده لذا توجهت إلى المطبخ لإلقاء نظرة عليه. لم يكن الابتذال وصفاً مناسباً له فقد كان مصنوعاً من الالمنيوم، وعصرياً جداً على حد تعبيره. فكل غرض فيه يواكب التقنيات الحديثة. وبدا مختلف تمام الاختلاف عن مطبخ المنزل الريفي المصنوع من خشب الجوز. ومع أنها أعجبت بتنفيذه المتقن إلا إنها لم تحبه.

سمعت خطىً متجهة مباشرة إليها فالتفتت إلى الخلف ورأته ينزل السلالم المستديرة بخفة. نظر إليها مبتسماً وسألها: «هل أنت بخير؟».

فأومأت مجيبة: «بخير. كنت ألقي نظرة على المطبخ».

هز كتفيه وقال: «أفضل الآخر. يمثل هذا بديلاً عن الآخر بالنسبة إليّ، متطرفُ بعض الشيء في تقنياته ولكنه عملي جداً ويسهل تحضير الطعام فيه. بالحديث عن هذا، هل سكبت الشاي؟».

لم تسكبه طبعاً نظراً لانشغالها بإلقاء نظرة على كل ما يحيط بها، فابتسمت معتذرة: «بما أنه ما زال في الإبريق، أعتقد أن فضولي لن يهدأ قبل رؤية سائر أرجاء المنزل. هل أستطيع؟».

نظر إليها لبرهة فتخيلت أنه سيرفض ثم هز كتفيه بلا مبالاة قائلاً: «طبعاً ولمَ لا؟ ليس هناك الكثير من الغرف. غرفتك، غرفة أخرى ومكتبي

في الأصل هنا».

وأضاف مشيراً إلى السقف:

ـ أنام هناك. تعالي لتري فهو ليس مرتباً جداً في الوقت الحاضر لكنه يطل على منظر مذهل.

تبعته عبر السلالم واجتازت حاجزاً زجاجياً منخفضاً ومنه إلى الدور المتوسط ففغرت فاهها.

كان السرير منخفضاً، يعلوه شرشف أبيض أما الوسادات فمتروكة بإهمال نصفها على الأرض والنصف الآخر على السرير. بدا وكأنه أمضى ليلة قلقة حين نام هنا آخر مرة. وتذكرت أن ذلك كان نهار الأحد الماضي بعد أن تناولت معه طعام الفطور إذ عاد إلى لندن لقضاء بعض الوقت في العمل.

جذب الشرشف يرتبه وأعاد الوسادات إلى السرير ثم عبس معتذراً. لكن انتباهها تحوّل إلى النافذة فالواجهة الزجاجية التي تصل إلى الأرض والسرير قريب منها لدرجة أن المرء يستطيع رؤية المنظر في الأسفل من دون أن يتحرّك.

قالت بنعومة: «يا إلهي».

ضحك بصوت منخفض وأجاب: «أجل، إنه مكان رائع للنوم. يمكن للقمر أن يكون مزعجاً أحياناً ولكنني لا أستطيع احتمال الستائر المسدلة».

ـ ألا تخشى أن يروك؟

فضحك ورد: «ماذا؟ هنا فوق؟ من سيراني غير طيور النورس؟ لا أحد. على أيّ حال، ليس لديّ ما أخفيه. أستطيع التمدد في الفراش صباحاً ومراقبة شروق الشمس عند الأفق وهذا أجمل إحساس في الكون»

ردت ضاحكة: «لا عجب في أنك تصحو باكراً».

أبعدت عينيها مكرهة عن هذا الجانب من الغرفة وجالت بنظرها في الانحاء الأخرى. في الجانب الأقصى، رأت باباً يؤدي إلى ما تصورته ليديا حماماً وأبواباً أخرى قربه تبدو وكأنها خزائن.

سجادة بيضاء سميكة على الألواح الشاحبة المطلية وفي ما عدا ذلك كان كل شيء قاتماً ولا وجود لما يشدّ الانتباه عدا بساطة التصميم ومنظر لندن المذهل.

نظرت إلى الأسفل نحو غرفة الجلوس حيث وضع أريكتين الواحدة قبالة الأخرى وسط الغرفة وقد انتصبت طاولة القهوة بينهما على مسافة تسمح للجالس بوضع قدميه وأخذ قيلولة.

ردت بكآبة: «إنه جميل».

جميل وباستطاعتها أن تشاركه فيه.

اقترح جايك: «أتودين التنزه قرب النهر؟».

تعلقت بالفكرة فأي شيء أفضل من الجلوس هنا والندم على أمور لا تستطيع تغييرها.

نزلا إلى الأسفل وعبرا الطريق إلى الجهة المقابلة للتنزه كالسوّاح فيما راح جايك يدلها على المعالم: برج لندن الكبير والمرعب، المكان الذي قضى فيه العديد من الناس أيامهم الأخيرة قبل أن يساقوا إلى الشنق في الأيام الغابرة. قلعة بلفاست المنتصبة قبالة البرج فوق النهر والتي لا تبعد كثيراً عن شقة جايك. أما صالات العرض ومراكز التسوّق والمطاعم فكانت مخصصة للأثرياء ولهواة السهر والتسوّق. لا عجب في أنه يعود إلى هنا ليعيش حياة حافلة، فكرت ليديا بكآبة، فمنطقتها «سافولك» لا تعادل نقطة في بحر هذا المكان. ولكنها كانت تعلم أنها، إذا ما أعطيت الخيار، تفضل العيش بسلام في وادي النهر حيث ولدت وترعرعت، في المزرعة التي تعود لعائلتها منذ ستة أجيال...

...أو في المنزل المجاور لها، في بيت جايك الجميل الفخم الذي ينقصه الأولاد والكلب والقطط وكل مقومات الحياة العائلية، تلك الحياة التي كان يمكن لهما بعثها فيه. آه تباً!

وحاولت منع دموعها واستدارت عنه متظاهرة بالاهتمام بشيء على الجهة الأخرى من النهر لتخبيء تلك الدموع الغادرة. وحين توقف وخز

الدموع أحست مجدداً بالأمان.

توقفا لشرب الشاي في مقهى على الرصيف بما أنهما تغاضيا عن الإبريق الذي أعده. وبعد فترة، نظر جايك إلى ساعته وقال: «علينا أن نعود أدراجنا. لقد قاربت الساعة الخامسة ويلزمنا بعض الوقت للوصول إلى مكان الحفل نظراً للزحمة المسائية التي تبدأ في الثامنة. كم يلزمك من الوقت لتجهزي؟».

هزت كتفيها وردت: «ليس كثيراً. نصف ساعة على الأكثر! سآخذ دوشاً سريعاً لأنني غسلت شعري هذا الصباح».

امتدت يده رافعة خصلة من شعرها يتحسسها بين أصابعه وقد علا وجهه تعبير غريب فهمس: «إنه جميل، ناعم ولامع، ملمسه كالحرير».

وتجمّدت في مكانها وحبست أنفاسها في حلقها فيما تخضّبت وجنتاها بسبب اقترابه منها. وعندئذ، أنزل يده بصورة فجائية ونهض معلناً: «علينا العودة على أيّ حال، فلدي مخابرات هاتفية أجريها».

تغضن وجهها فيما كانت تسرع لتلحق بخطاه.

ماذا دهاه الآن؟ إلا إذا كان شعوره نحوها لم يتبدّل؟

هذه الأمسية قد تكشف الكثير... هذا ما فكرت فيه لبديا شاعرة برعشة من الترقب الممزوجة بالخوف لأن ما ستكتشفه قد يكون ما لا ترغب فيه أصلاً.

يا إلهي، إنها رائعة! وهي تمرح في المياه مع عدد من الفتيات اللواتي يلعبن البولو المائي. جلس على حافة البركة يراقبها. كان وجهه ليفضح مشاعره لو لم تكن العتمة تلفهما. علا البخار سطح المياه الساخنة ولف الأشجار التي تحيط بالمكان، كانت الأضواء الملوّنة تتسلل من خلال الأشجار. وفي الجانب الآخر من الحوض، كانت نار الشواء لا تزال مضرمة. وتحوّل انتباهه إلى لبديا وكاد يختنق. كانت الأنوار المركبّة في الحوض تنعكس على شعرها فيما هي تشق المياه لإحضار الطابة. كان قوامها الرشيق يتقوس مع الريح فيما يداها تتمسكان بالطابة التي رمتها

بمهارة حتى خط النهاية.

وعلت صيحات التهليل فابتسم بغرابة. بقيت مطولاً هناك وسيغلبها التعب قريباً ولكنها كانت سعيدة ومن الرائع رؤيتها على هذا الشكل.

ـ هاي! تعالوا أيها الرجال فنحن نريد أجساماً قوية.

صاحت بهم إحدى الفتيات فيما تشبثت إحداهن بكاحله فوجد نفسه يسقط في المياه فجأة.

وعندما أخرج رأسه وجد نفسه وجهاً لوجه مع لبديا فسألها: «هل أنت الفاعلة؟».

ابتسمت ببراءة: «أنا؟ وهل أجرؤ؟».

ـ محتمل. هل أنضم إليك؟

فصاحت سائر الفتيات بصوت واحد: «كلا فنحن نريده!».

ابتسم بخفة وهزّ رأسه ثم ذهب إلى الجهة المقابلة، فاللعبة إيجابياتها الحتمية على هذا النحو كما سيكتشف. فاللعب ضدها يعني الإحساس بها فيما هي تحاول الحصول على الطابة منه.

وبما أن قواعد اللعبة قد اختلت، انتهى به الأمر بأن استوقفها بيده الحازمة فيما يده الأخرى تلتقط الطابة المتجهة نحو فريقه.

ضحكت صائحة: «غشاش».

ونظر نحو عينيها وتجمد فجأة مدركاً بيأس مدى خيانة حواسه له. ابتعد عنها ولكن ليس قبل أن تشعر بمشاعره الجارفة. كانت عيناه مغمضتين فيما بدت عيناها واسعتين وناعمتين، عندئذ حوّل عينيه عنها وأعاد انتباهه إلى اللعبة بعنف قوي.

وأخيراً، انتهت اللعبة وسحب جسمه من المياه مستعيناً بسهولة بإحدى ذراعيه ولفّ المنشفة بحزم حول خصره. كانت تقف على بعد أقدام منه، فمزقته المشاعر مجدداً مشتتة بذلك تماسكه. سألها جايك بسرعة مفاجئة: «هل تذهب؟».

أومأت برأسها: «أجل، طبعاً. سألبس ثيابي فوراً».

واختفت، في حين وجد هو ثيابه في الغرفة وارتداها فوق جسده الرطب لفرط عجلته. بعد عدة دقائق، كان مضيفهما يحتّج فيما هما يهمان بالرحيل: «لا تستطيع الذهاب».

ـ آسف، نحن مضطرون للنهوض باكراً غداً.

لقد كذب جايك. وسارا على الرصيف متجهين إلى سيارته وقد ساد صمت مربك بينهما. بلغا السيارة من دون تبادل أيّ كلمة وراء المقود. استدارت نحوه قائلة: «هل فوّت شيئاً ما؟».

فأطلق تنهيدة عميقة: «آسف ولكن مجرد رؤيتك على ذلك النحو، لا يسهل الأمور عليّ، فأنت امرأة جميلة يا ليديا. لا أستطيع إخماد مشاعري ببساطة لمجرد أن ما بيننا انتهى».

ردت بنعومة: «وهل هو كذلك؟».

جمد متسائلاً، عاجزاً عن تصديق أذنيه: «ماذا؟».

ـ هل كل شيء انتهى؟ فتصرفاتك تجاهي تجعلني أشعر بأنه لم ينته.

مرّر أصابعه المرتجفة في شعره الرطب. كان صدره مثقلاً وقلبه يتخبط بين ضلوعه فكاد يصاب بالغثيان لشدة اضطرابه. سألها بصوت مخنوق: «ماذا تقولين يا ليديا؟».

نظرت إليه وبدا وجهها شاحباً غامضاً غريباً في ضوء السيارات وقالت: «لهذا السبب ربما، لم ينته الأمر بيننا فعلاً. ربما ينبغي أن نسمح لأنفسنا باكتشاف ذلك قبل فوات الأوان».

أخذ نفساً ملء رئتيه. إنهما في طريقهما إلى شقته حيث لا شيء لإعانته على التصرف كسيد نبيل باستثناء ضميره المعذب. وفكر بصمت، مغمضاً عينيه بيأس فهو ليس قوياً بما فيه الكفاية لتخطي ذلك.

ـ جايك؟ أنا آسفة. لم... لم أقصد الاستنتاج. إذا كان الأمر منتهياً، فقلها فقط. ظننت فقط أنّ ثمة أمر عالق بيننا ولكنني قد أكون مخطئة. لا أنوي إحراجك.

قال بصوته المعذب المعهود: «أنت لا تحرجينني. سأتولى الأمر

بمفردي».

ثم أضاف في سره: نحتاج للعودة إلى منزلي لمناقشة الموضوع.

وأدار المحرّك وانطلق مسرعاً في الشارع الهادىء ثم تذكر مخالفة السرعة التي نالها مؤخراً والنقاط السوداء على إجازة سوقه فأبطأ سرعته. لم يعد باستطاعته تحمل نقاط جديدة فهو لا يزال يحمل البعض منها من السنة الماضية حين هجرته، إذ ضبطته الشرطة وهو مسرع فوجهّت إليه كتاب انذار وهو آخر ما يحتاج إليه ليفقد رخصة القيادة كلياً.

ربما عليه أن يشتري جهازاً كهربائياً لتخفيف سرعة السيارة، هذا ما فكر فيه جايك باشمئزاز غريب. وركّز على أصول القيادة وقوانينها طيلة طريق العودة.

كانت فكرة جيدة بأيّ حال لأنها حوّلت انتباهه عن ليديا فبدأ يشعر بتحسّن.

كان صمته غريباً طوال طريق العودة إلى شقته وكان قلب ليديا ينبض بقوة لدى وصولهما هناك. هل كان غاضباً منها؟ من نفسه؟ منهما معاً؟ هل يحبها أم أنه يريدها فقط؟ إنه يريدها وهي تعلم ذلك من دون أدنى شك.

صعدا إلى الشقة وضغط على زر النور. ضوء ناعم انبعث من الاضواء العلوية فلوّن السقف بلون ذهبي ولكنه لم يغطِ على تلألؤ مساء لندن في الخارج المنعكس على الجدران والنوافذ.

وهمس جايك بكلام لم تسمعه وخطا نحو الأبواب ففتحها، ووقف على الشرفة في الخارج، يداه على الحافة.

كان قلبها في حلقها فخرجت ووقفت إلى جواره، ترتجف قليلاً في النسيم العليل. قال بشبه اتهام: «أنت تشعرين بالبرد».

ـ بقيت في المياه مدة طويلة.

ـ اذهبي وخذي حماماً ساخناً. سأعد لك شراباً عندما أنهي حمامي.

سألته: «هل أنت بخير؟».

نظر إليها بغرابة: «أجل طبعاً. لماذا؟».

هزت رأسها واستدارت مبتعدة، عائدة إلى الدفء في الداخل. حمام ساخن، هذا ما قاله. وبدت لها فكرة جيدة فدخلت غرفتها وتنعمت لفترة بالمياه الساخنة المنعشة ثم لفت نفسها بمنشفة كبيرة وجففت نفسها بسرعة. وجدت مجففاً للشعر في الخزانة فجففت شعرها وأزاحته بأناملها عن وجهها ثم ارتدت الثوب مجدداً من دون الاهتمام بتفاصيل الأناقة.

لو عاد الأمر إليها، لرأت أنها لا تحتاج إليها بأية حال.

كان في المطبخ عندما خرجت من غرفتها، يسخن الحليب ليخلطه مع القهوة وسكبه في كوبين ورش فوقه بودرة الشوكولا بوفرة وسلمها واحداً، قائلاً بإيجاز: «كابوتشينو. حاذري فهو ساخن».

ـ شكراً.

أخذته منه واحتست الشوكولا بسرعة ثم توجهت إلى الشرفة من دون أن تصدر صوتاً بقدميها الحافيتين على الأرض اللامعة.

كان يرتدي الجينز مجدداً كما لاحظت ولكنه استبدل قميصه بأخرى تصل إلى أعلى فخذيه. وفكرت كم هو عملي. ما زالت ترتعش من البرد حتى بعد حمام ساخن وبدأت تتمنى لو أنها وضعت على كتفيها ما يمنحها الدفء. وتغيّر اتجاه الريح، فارتجفت قليلاً. فتحرّك وراءها ليحميها من الريح بجسمه الكبير والدافىء ثم قال بفظاظة: «ما زلت تشعرين بالبرد».

ـ ليس بالضبط. إنه فقط النسيم البارد.

تناهى إلى سمعها صوت أنفاسه الخفيفة فأدارت رأسها بسرعة لترى وجهه. ضاقت المسافة بينهما وخلا وجهه من الحذر للمرة الأولى وبدا مغموراً بالتوق إليها، أما قلبها فكان يطرق بعنف في حلقها.

أجاب بخشونة وقد بدا صوته همساً: «جميلة جداً».

لبرهة من الوقت لم يتحركا بل وقفا صامتين في مقابل بعضهما البعض، نظراتهما تتناغم بلطف على إيقاع الموسيقى الناعمة الصادرة من أعماقهما. بدأت تفهم الآن الكلمات، أغاني الحب الصامت التي تتكلم عن الآلام والعذاب. وبعد لحظة امتدت إلى الأبد، قال لها وفي عينيه

المستعرتين نار زرقاء:

ـ يجب أن نتحدّث.

ولكنها هزت رأسها بالنفي ثم قالت: «كلا، إذ يبدو أننا نتعارك كلما تكلّمنا لذا لا تتكلّم بل تعال إلى الداخل لنجلس».

ولبرهة ظنته سيرفض ثم ضاقت عيناه قليلاً وقال متنهداً: «ليديا».

ـ أرجوك؟

ببطء، وببطء لامتناهٍ، تحرك ليجلس على إحدى الأرائك ثم ابتسم أخيراً ابتسامة مقتضبة وهمس: «سيكون من دواعي سروري».

هذا جايك الذي تحبه كما لم يسبق لها أن أحبت رجلاً آخر. جلست بدورها إلى جانبه ونظرات الشوق تهيم من عينيها تجاهه.

كانت عيناه تتفحصان وجهها الجميل، تتوقفان عند كل تفصيل فيه، وهمس لها: «لاتنظري إلي يا أميرة. هل تدركين ما تفعلينه بي؟».

فشعرت برجفة تسري في أوصالها. كانت ترغب فيه وتنشد قربه وحنانه، لكنها لن تتسرع، لن تدوس على قناعاتها، ولن تجعل مشاعرها تتحكم بها. أدار رأسها نحوه فيما هو ينظر إليها بحنان لامتناهٍ. سألها بلطف: «ماذا جرى؟».

عندئذ، شعرت بالثقة تغمرها فبدت واثقة مما تفعله أكثر من أي شيء آخر قامت به في حياتها كلها. همست: «لا شيء».

ووقفت ببطء ثم ابتعدت عنه متوجهة إلى غرفتها...

***

٧ ـ شبح الماضي

قضى معظم الليل يتقلّب في فراشه، عاجزاً عن النوم بعد أن تركته في الأمس في غمرة شوقه وتوجهت إلى غرفتها لتنام.

من حين إلى آخر كان يصدر آنيناً خافتاً، ويستدير على نفسه علّ النوم يجد إلى عينيه سبيلاً.

لكن النوم جافاه، والقلق حرمه الراحة، فوضع وسادة وراءه كتفيه واستلقى في السرير متأملاً الشمس وهي تنير الأفق بلون ذهبي وترسل أشعتها الفتية لتنير المدينة وتبث الدفء فيها.

شعر بالحرمان هذا الصباح، بالحرمان والحيرة والحزن بطريقة ما.

ونهض «ليو» من بين الأموات ليعذبه مجدداً وتمسكت يداه باللحاف لمجرد التفكير بأنها أحبت رجلاً آخر.

نهض من سريره وراح يذرع الغرفة في الطول والعرض وقد تآكلته الحيرة.

وفكر جايك بأنه حصل ليلة أمس على الأقل على شيء حقيقي ليحلم به، فنظرات الشوق من عينيها لا تُنسى ومرحها خلال السهرة ذكرى سيحتفظ بها إلى الأبد. ارتدى سرواله وقميصه وجلس بهدوء على الكرسي، ممسكاً بيديه جوربه وحذاء الرياضة. استحم وحرص على عدم إزعاجها فمشى حافياً حتى عتبة باب المنزل حيث ارتدى حذاءه لئلا يصدر صريراً على الأرض الخشبية. مارس تمارينه الرياضية، فرمقه أحد جيرانه

بنظرة غريبة. كان هذا يهم بدخول منزله بعد ليلة حافلة في الخارج. مشى جايك إلى زاوية الطريق ومن ثم انتقل إلى الرصيف الآخر. كان الصباح جميلاً، بارداً ومنعشاً بعد يوم حار ورطب. تمشّى على ضفاف النهر، وتبع طريقه المعتاد المحاذي لجسر لندن متجاوزاً «كوستوم هاوس» بعد جسر لندن ومرّ في طريق العودة بمحل الحلويات.

اختار خبزاً محشواً بالشوكولا، وكرواسان ووجبة صغيرة كاملة من الخبز ثم عاد أدراجه إلى الشقة لإراحة عضلاته. ترك حذاءه على العتبة ومشى حافياً بنعومة إلى المطبخ. قد تمرّ ساعات قبل أن تصحو ولم يشأ إزعاجها.

يمكنه كالعادة التكيّف مع الوضع والكبت الذي يشعر به ولكن ثمة مواضيع أخرى عالقة تعذّبه.

فهي ليست فتاة عادية عرفها في حياته، بل الفتاة التي أراد الزواج بها وتخلّت عنه في اللحظة الأخيرة، الفتاة التي تقربت منه أمس بعدما تبخرت كل الآمال بوجود مستقبل لهذه العلاقة.

أنا الآن، وتحديداً هذا الصباح، فهو لا يعرف كيف يتصرّف معها. لم يكن يملك أدنى فكرة عن توقعاتها. هل كانت تتلاعب به فقط، تتعامل مع مسألة منتهية كما وصفتها؟ أم أنها تحبه بصدق؟ الله وحده يعلم. فكر جايك بذلك وهو يصب الماء في إبريق القهوة ويشغّله. عندما أتم ذلك، أخذ كرسياً وقهوته إلى الشرفة وجلس هناك يتأمل النهار الطالع. فكر بكآبة أنه يحتاج إليها. فهل تحبه أم لا؟ أيهما هو الجواب الشافي؟ وشرب فنجاني قهوة من دون أن يجد جواباً وكانت عضلاته تئن من الجلوس في الهواء البارد بعد الجري.

قام بتمريناته وصعد إلى غرفته حيث وقف لبضع دقائق يتأمل المدينة. وراح يستعيد في مخيلته ما رآه في عينيها، وعذبته الذكرى فأطلق تنهيدة عميقة.

سرت المشاعر في جسمه المعذب فتأوه وذهب إلى الحمام مغلقاً

الباب بضربة ناعمة.

كان في حاجة إلى حمام ساخن منعش ليستعيد قواه.

لطالما حاول محوها من تفكيره ولكنه لم ينجح في ذلك بل ازداد تعلقاً بها وحنيناً إليها.

أفاقت عندما أحست بالشمس تلفح بشرتها وبالنسيم البارد يداعب ظهرها. فتحت عينيها والتفتت لترى نهر التايمز حيث تتهادى البواخر فتنزل وتهبط على نغم المياه بعيداً عنها في الأسفل.

لاحظت حركة في المنزل فأدركت أنه لا يزال في المنزل.

نهضت من فراشها رغماً عنها، وتوجّهت إلى الحمام. ربما يساعدها الحمام الساخن على تليين عضلاتها وينعشها فتستعيد حيويتها ونشاطها.

وما هي إلاّ دقائق، حتى كانت تستمتع بالمياه الساخنة على جسمها.

وبعد فترة ليست بقصيرة، خرجت من الحمام بعد أن لفّت نفسها بمنشفة كبيرة. ارتدت ملابسها بتمهّل وسرّحت شعرها ثم خرجت من غرفتها بحثاً عنه فوجدته في المطبخ. ألقت عليه تحية الصباح، واعترفت له بكسل: «أنا جائعة».

ـ وأنا أيضاً، هل تستطيعين التحرّك؟

ـ وما هي الخيارات أمامي؟

ـ يمكننا تناول الطعام على الشرفة أو قد أحمل لك الفطور إلى غرفة الجلوس ولكن الكسل على أيّ حال لن يوصلني إلى المكتب هذا الصباح.

فابتسمت واقترحت: «الشرفة؟».

عندئذ، حمل الصينية إلى الشرفة فراحت تتأمل بإعجاب جسده الرائع وهو يسبقها محذراً إياها: «الحقي بي بسرعة، فإذا تأخرت أو ماطلت قد آكل كل الخبز بالشوكولا!».

ـ لم تقل لي إنك أحضرت الخبز بالشوكولا.

ـ لم تسألي. ابتعتها هذا الصباح من محل الحلويات.

فقالت مبتسمة بسعادة ورضى للطريقة التي بدأ بها النهار: «أنت تستيقظ باكراً فعلاً. أليس كذلك؟».

قال لها بحزم: «أجل، هيا، يجب أن نأكل بسرعة، فالوقت قد تأخر وعليّ أن أذهب إلى المكتب هذا الصباح».

كان بالطبع محقاً فالوقت قد تأخر وعليهما أن يعودا من أجل تحضيرات الزفاف، ولا بدّ أن عائلتها قلقة عليها.

ضحك لها وهزّ برأسه قائلاً: «إذهبي وضعي الكرسي الآخر على الشرفة، فيما أضع أنا الصينية على الطاولة».

حملت الكرسي وراحت تفكر، بعيداً عن زرقة عينيه، بعدد النساء الأخريات اللواتي تقاسم معهن الفطور على هذه الشرفة.

ولا واحدة، على ما يبدو في السنة الماضية ولكن قد يكون ذلك مجرد إشاعة. لعله لم يتورط بعلاقة طويلة الأمد مع إحداهن هذه السنة ولكن ذلك لا يعني أنه لم يدعو إحداهن إلى منزله.

تصورّته برفقة امرأة أخرى فأصيبت بالغثيان. فكرت بيأس: لا، أرجوك. على الأقل ليس منذ أن التقى بي وليس إذا ما احبني.

وبقي هذا السؤال الأصعب. هل أحبها؟ لقد عاملها طبعاً بلطف واهتمام بالغين وبشغف عجيب ولكن ربما هذا من شيمه. ربما يتصرف على هذا النحو مع كل النساء اللواتي عرفهن.

آه، لا، أرجوك. يا إلهي!

وهمست لنفسها: «توقفي عن تعذيب نفسك».

انتفضت حين رأته وراءها حاملاً الصينية ومستفسراً: «أوقفي ماذا...؟».

وكذبت عليه: «لا شيء. لقد دست فقط على إبهام رجلي وهو بخير».

ـ متأكدة؟

والآن سيجعلها تشعر بالذنب فقالت: «أجل أنا واثقة».

استقرّ في أحد الكرسيين، وصب القهوة وأخذ قطعة من الكرواسان المحشو بالشوكولا الساخن. قال مباشرة من دون لف أو دوران: «اغمسيه».

قطّعت ليديا قطعة الكرواسان خاصتها وأمسكت بقطع الشوكولا الصغيرة وغمّستها في القهوة ما جعله يعبس ويقول بود: «لديك بعض العادات السيئة».

عبست وغمست آخر قطعة قبل أن تمتص أصابعها بشراهة: «يام. هذا يعوّض عن الفاكهة الإستوائية الرائعة على الفطور. لقد اعتدت وليو الذهاب إلى السوق لشراء كل أصناف الفاكهة من المانغو، والموز، والبابايا وأصناف أخرى لا تحافظ على المذاق نفسه بعد شحنها حول العالم في برّادات تغيّر نكهتها».

لعقت أصابعها وحدقت بجايك وقد عقد حاجبيه وراح يتأمل النهر الجاري تحته فسألت وقد انحنت نحو الأمام بخفة: «جايك، هل أنت بخير؟».

قال شبه مضطرب: «أجل، أنا بخير، أعاني فقط من عسر هضم فلقد أفرطت في شرب القهوة».

ولدهشتها تناول قطعة أخرى من الكرواسان وقضمها بقوة. غريب عسر هضمه، هذا ما فكرت فيه ليديا. لكن من الواضح أنه مشغول البال، فالتقطت قطعة أخرى من الشوكولا، وجلست متربعة وقطعتها آلياً ثم أكلتها فوقع فتات الخبز الصغير على الأرض، فسألته وهي تنظر إلى ما فعلته:

ـ لا أعتقد أن لديك منديلاً.

نظر إليها وجال بعينيه عليها ثم قال بكآبة: «لا تقلقي بشأن الفتات فالعصافير ستأكلها. هل تريدين المزيد من القهوة؟».

ـ أرجوك.

مرّر ابريق القهوة لها فتلامست أصابعهما و ابتسم لها بلطف سائلاً: «هل أنت بخير؟».

عندئذ، أدركت أنّه نسي ما كان يقلقه أو طرحه جانباً. ردت بالايجاب مبتسمة بارتياح إذ يبدو أن التوتر بينهما قد تلاشى مع النسيم العليل.

أنهيا فطورهما وفيما كانا ينظفان الطاولة، سألته عما يود فعله هذا الصباح.

ـ علي الذهاب إلى المكتب لساعتين وأنت على الرحب والسعة هناك ولكنني أعتقد أنك ستجدين الأمر مملا. يمكنك البقاء هنا والخلود إلى النوم مجدداً أو قراءة مجلة أو ما شابه أو يمكنك الذهاب للتسوّق على أن نلتقي مجدداً هنا أو. . . .

عضت على شفتها مفكرة: «ماذا لو تجولت بالقرب من هنا لفترة قصيرة ومن ثم لحقت بك إلى مكتبك بنفسي؟ أستطيع القيام بجولة وربما زيارة معرض أو اثنين من تلك المعارض الغريبة؟».

أومأ ببطء موافقاً وقال: «حسناً. سأزودك بالعنوان. هل لديك ما يكفي من المال لتستقلي سيارة أجرة أم أنك تريدين مني أن أترك لك بعض النقود؟».

هزت رأسها بالنفي: «أنا بخير. سأراك في مكتبك عند. . . ماذا؟ الثانية عشرة؟».

ـ يبدو ذلك جيداً. ماذا عن حقائبك؟

وضحكت: «حقائب؟ أتعني تلك الحقيبة الصغيرة التي تحوي فرشاة أسنان وثوب سباحة رطب؟ أعتقد أنني أستطيع التعامل مع الوضع».

ـ إذا كنت واثقة من ذلك.

ـ أنا واثقة. لقد تجولت في الشرق الاقصى وأوستراليا وحقيبتي على ظهري. أتذكر؟

وتقلص فمه قليلاً فندمت فوراً على كلامها. إنه بالطبع لم ينسَ، ولن

يستطيع النسيان نظراً لطريقة هجرها له؟

آه تباً.

ارتدى سترته وعدّل ياقة قميصه ثم ناولها بطاقة أخرجها من محفظته وقال لها مودعاً: «سأراك لاحقاً. استمتعي بوقتك».

وأغلق الباب خلفه فوضعت البطاقة في حقيبتها وألقت بنفسها على الأريكة! استمتعي؟ ربما قد تستمتع ولكن ليس من دونه إذا ما فكرت ليديا بالساعات الأربع والعشرين الماضية.

ألقت برأسها إلى الخلف وتنهدت. لقد استفاقت بمزاج جيد ولكن الشك عرف طريقه إليها مجدداً.

كان نادماً على رفقتها وعلى تخصيص الوقت لها. كانت جد واثقة من أنه نادم ولكن تهذيبه الفائق منعه من الإفصاح عن ذلك. ماذا سيفعل؟ سيدع الزفاف يمر ثم يبيع المنزل ويغادر «سافولك» إلى الأبد، مودعاً إياها بأسلوب لائق؟

تفكيرها بالموضوع جعل ألماً لا يطاق ينهشها.

على أيّ حال، بدا متشوقاً لرفقتها هذا الصباح عندما حضّر الفطور وجلس معها على الشرفة. لا أثر إذاً للندم، لذا ربما كانت تتخيل ذلك فقط.

رمت أغراضها في حقيبتها الصغيرة وحملتها على كتفها وانطلقت لاكتشاف المنطقة. أمضت وقتاً ممتعاً أو كادت تفعل. كان بإمكانها الاستمتاع أكثر لو لم تكن مدركة خلال جولتها الاستكشافية أنه يشاطرها المكان.

ومع ذلك، فإن التجدد الذي شهدته المنطقة، كان مثيراً للاهتمام ولا بد أن استثمارات ضخمة قد خصصت له. لقد تسنّى لها الوقت لزيارة معارض صغيرة وشعرت بالحزن لأنها أرادت شراء لوحة لتقدّمها لميلاني وطوم هدية لزفافهما إلا أنها لم تكن تملك المال الكافي في حسابها لشرائها. طلبت منهم بطاقة ودستها في حقيبتها، للاتصال بهم لاحقاً بعد

أن تتدبر أمر الدفع ما إن تقنع أمها بانقاذها. وعندئذ أدركت أنها لم تعد تملك الوقت الكافي فلوّحت لسيارة أجرة وزوّدت السائق بعنوان المجمّع الذي يحوي مكتبه.

وأخبرها السائق: «ثمة حاجز كبير قرب المكان الذي تقصدينه. أستطيع أن أقلّك معظم المسافة ولكن يستحسن بعد ذلك أن تتمشي».

لم يكن لديها الوقت الكافي للمشي، لذا ركضت كما تاهت مرة ومن ثم وصلت إلى المكتب وهي تتصبب عرقاً ومقطوعة الأنفاس. ولجت من الباب الدوّار إلى المبنى الفخم فغاص قلبها. كان مذهلاً في حين كانت هي في أسوأ حالاتها. وفي تلك الأثناء، رمقتها شابة متأنقة بنظرة مقتضبة بأسلوب متشامخ.

ـ آنسة بنتون.

نظرت ناحية الصوت فوجدت سيدة متوسطة العمر تبتسم لها، فقالت لاهثة: «أجل، آسفة على تأخري فالمواصلات...».

ولكن المرأة قطعت عليها ثرثرتها وقالت: «أعلم، لقد علمنا بزحمة السير فثمة شاحنة عالقة أو ما شابه ذلك. يا إلهي، تبدين وكأن حرارتك مرتفعة، هل ركضت؟».

وأومأت محاولة استعادة أنفاسها فبدا على المرأة الاستهجان وتحركت من وراء مكتبها تحثها على ولوج باب: «ثمة غرفة للسيدات من هنا، اذهبي وانتعشي فيما أعلمه بوصولك. خذي الوقت الذي تحتاجين».

دخلت إلى الغرفة المصنوعة من الرخام وأسندت وجنتيها الساخنتين إلى الحائط البارد. يا الله. لمَ بحق الله كان عليها أن ترتدي الجينز وقميصاً سميكاً؟ لقد كان اليوم شديد الحرارة خصوصاً إذا كانت ستتجوّل فيه على هذا النحو!

نثرت الماء البارد على وجهها ويديها ثم عادت لتجد جايك متكئاً على

مكتب الاستقبال يتبادل الضحك مع موظفة الإستقبال اللطيفة؟ هل يضحكان عليها؟ محتمل جداً. لمحها فاستقام متجهاً نحوها وقال وهو يتأمل وجنتيها: «كان عليك أن تأخذي وقتك. تعالي إلى مكتبي لتنتعشي لدقيقة فهواء المكيّف سيريحك».

أجابت بابتسامة غريبة: «استبدال ملابسي بأخرى منعشة قد يفيدني أكثر ولكن ثوبي في حالة مزرية في قعر حقيبتي».

فقال: «ما من مشكلة. أعطيني إياه».

ـ ماذا؟

ومد يده: «أعطني إياه. سنعالج أمره».

أسقطت لارتباكها حقيبتها أرضاً، وفتحتها ثم أخرجت منها خرقة مجعدة وسألته مذهولة: «من سيصلح هذا بحق الله؟».

ـ عمّال المصبغة عند آخر الطريق. بريل، هل يمكنك إرسال أحدهم لتسليم هذا لليديا؟ شكراً.

وسلّم الثوب إلى موظفة الاستقبال. فكرت ليديا بالمرة الأخيرة التي ارتدته فيها، حين كانت تلحق بجايك مبتسمة بوقاحة. كبتت ضحكتها في حين سمعته يقول: «سنكون في المكتب وسيكون رائعاً إذا ما استطعت إيجاد أحد لايصاله لنا فور جهوزه».

قادها نحو المصعد، وضغط على زر ليرفعهما صعوداً نحو الدور الأعلى ومن ثم استدار نحوها بفمه المشدود: «هيا بنا إذاً لنتحدث، لماذا تضحكين؟؟».

هزت رأسها وتنبهت فجأة إلى أنها بمفردها معه في المصعد فقالت: «كنت فقط أفكر بالمرة الأخيرة التي ارتديته فيها».

وتأملتها عيناه فيما توهجت حدقتاه وأضاف بنعومة شعرت معها بالحر يتملّكها مجدداً: «بدوت جميلة فيه مساء أمس».

وتوقف المصعد وفتحت أبوابه بصمت فدفعها للخروج عبر الممر وقال لسكرتيرته: «أوقفي جميع مخابراتي يا جيري، أرجوك».

وتنبهت ليديا للعيون الفضولية التي تتابع مسيرتها.

أغلق الباب بهدوء وراءهما ثم استدار ناحيتها: «لقد افتقدتك منذ الصباح».

كانت الكلمات تخرج من فمها وتثير فيها الدهشة: «الوضع رائع هنا معك ولا أريد إنهاءه. وفور وصولنا سينهالون علينا توبيخاً ولا أشعر أنني جاهزة لذلك. وميل ستثير مشكلة من لا شيء وأنا لا أريد إفساد زواجها».

وبهدوء بالغ قال: «إذاً أردت البقاء مدة أطول، يمكننا فعل ذلك. يمكننا تناول الغداء في مكان ما ومن ثم العودة إلى شقتي لأخذ قسط من الراحة».

بحثت في وجهه عن إشارة ندم حسبت أنه أحس به سابقاً فلم تجد له أثراً فأضافت: «هل يمكننا؟ أيمكننا ذلك حقاً؟».

ـ طبعاً وأين تودين أن تأكلي؟

ضحكت قبل أن تجيب: «أي مكان أستطيع ارتياده بذلك الثوب. هل سيكوونه أيضاً؟».

ـ أتصور أنهم سيكوونه على البخار ولكنني لا أعلم. لن يتأخروا في تجهيزه فهم بارعون. هل تودين شرب القهوة فيما ننتظر أم تفضلين المياه أو العصير؟

ـ أفضل المياه، المياه الباردة.

لاحظت ليديا الآن بعد أن أشاحت بنظرها عنه أن مكتبه واسع. نظرت من النافذة فأطلت على مشهد مذهل آخر فهزت رأسها.

بحق الله! لقد كان أكثر أهمية مما ظنت. لم يكن انعدام الأمان واحداً من نقاط ضعفها المعتادة ولكنها أحست به الآن. ماذا رأى فيها بحق الله؟ ربما لم ير شيئاً. ربما، لهذا السبب، رحل السنة الماضية لأنها منحته فرصة ذهبية للهروب من دون أن يحرج أويظهر بمظهر الرجل غير المحترم.

ولكن لم يكن يبدو عليه أنه يريد الهروب منها ليلة أمس ولا حتى هذا الصباح، أم أنها مجرد رد فعل طبيعية لرجل تجاه امرأة يريدها؟

آه، من المؤسف أنها لا تعلم ما يكفي عن الموضوع للتنبؤ كما أنها عجزت عن التفكير بصفاء. كانت لا تزال تشعر بالحرارة وبالقلق وبسرعة العطب إلى حد لا يصدق.

اقترح جايك: «هل تودين أخذ حمام سريع؟ إذا كنت تشعرين بالحر فهناك حمام. غالباً ما لا أجد الوقت الكافي للوصول إلى البيت ما بين اجتماعاتي ولا أحتمل فكرة عدم حصولي على حمام في وقت أحتاج فيه إليه».

شرح لها جايك ذلك رداً على تعبير وجهها المصعوق. فقالت: «همم، سيكون ذلك جميلاً».

رد بابتسامة مؤسفة: «إني أتوقع اتصالاً ويستحسن بي أن أطلب من جيري تحويل هذه المخابرة ما إن يتصلوا. اذهبي أنتِ فهناك مئزر خلف الباب. ضعيه عليك بانتظار وصول فستانك».

لم تكن لتجادله فهي تشعر بالحر وتتصبب عرقاً، وكانت فكرة المياه الباردة المنهمرة عليها مغرية إلى حد أنه لا يمكن تفويتها.

استسلمت للمياه إلى أن خطر لها أنه قد يتساءل ما إذا أغرقت نفسها. عندئذ، أقفلت الحنفية وتناولت المنشفة ثم جففت نفسها وارتدت المئزر.

تنشّقت رائحته، رائحة عطر ما بعد الحلاقة التي تذكرها به، فشعرت بالانتعاش وفتحت الباب، لتجد سكرتيرته هناك مع ثوبها.

قال مبتسماً وهو يسلّم ليديا الثوب: «توقيت مناسب! ضعيه على الفور. سنذهب لتناول الغداء».

ـ هل ورد اتصالك؟

ـ أجل وأنا حرّ في الذهاب حتى نهار الاثنين. تستطيعين إدارة الحصن، أليس كذلك يا جيري؟

ردت بجفاء: «أظن أني قادرة».

استدارت بكعبيها العاليين اللذين لا تستطيع لبديا تحملهما فجاهدت لئلا تكره هذه المرأة. بدّلت ثيابها بأخرى نظيفة وانتعلت صندلها ثم وضعت باقي أغراضها في حقيبتها وخرجت من الحمام إلى المكتب. سألت: «هل تحسنت؟».

فابتسم ببطء: «رائعة. لنذهب قبل أن أغيّر رأيي».

كان الغداء رائعاً على متن مركب يتأرجح على سطح المياه. تناولا سلطة الطماطم كمقبلات قطع الدجاج المقلي مع الخبز الفرنسي المحشو بالبقول وختما وجبتهما بفواكه طازجة ذات طعم رائع.

قالت ضاحكة ممتنة لأن فستانها مناسب ومرتب: «كان ذلك رائعاً».

وخطرت لها فكرة فقالت: «أرجو ألا يكون وزني قد ازداد كثيراً ليوم السبت».

وأضافت بعبوس مربتة على معدتها: «ستقتلني ميل إذا لم يلائمني رداء الوصيفة بما أنه الآن قد عُدِّل».

هز رأسه قائلاً: «ستكونين بخير فالجري في الحر اليوم سيحميك من السمنة في كل الأحوال».

واستند بكسل إلى الكرسي وابتسم لها قائلاً: «إذاً، أخبريني. ماذا فعلت هذا الصباح؟».

استعرضت ما فعلته اليوم وتذكرت فجأة اللوحة فأخبرته: «لقد وجدت لوحة صغيرة لمشهد طبيعي وهي عبارة عن بواخر راسية على الشاطىء عند الفجر. إنها جميلة ولكنها من الناحية العملية، بسيطة. وددت أن ابتاعها لميل وطوم لأنها ذكّرتني بالأوقات التي كنا نبحر فيها معاً ونحن صغيرتان».

رفعت وجهها نحوه وأضافت: «أراهن أنها ستعجبهما ومن الواضح أن صالة العرض قد افتتحت مساء أمس فقط».

ـ ولمَ لم تبتاعينها؟

أخبرته بصدق: «لا أملك النقود. سأطلب من أمي أن تقرضني مبلغاً ولكن بما أنني لم أقم بأي عمل بعد، فسيبدو هذا وقحاً نوعاً ما».

ـ سأشتريها لك إذاً. يمكنك أن تديني لي؟

نظرت إليه مدهوشة: «أنت؟ ولم قد تود القيام بذلك؟».

ضحك باقتضاب وجمود مجيباً: «لمَ يصعب عليك التخيل بأنني قد أقرضك المال لشراء لوحة لأعز صديق لي ولأختك؟ أستطيع تحمّل هذه النفقات يا ليديا».

وتنهدت: «أعلم. ولكنني كنت فقط أود أن أبتاعها بنفسي».

أشار بلطف: «إذاً افعلي ذلك وسدّدي لي لاحقاً. هذا ليس باقتراح مهين وأنت تعلمين».

أجابت بضحكة مقتضبة: «أعلم. أنا فقط مذهولة ولم يخطر في بالي قط أن أطلب منك ذلك».

أنبّها: «كان عليك. أين المكان؟ يمكننا احضارها الآن».

ـ ولكنها في صالة عرض.

ـ أين؟

أدخلت يدها بلا مبالاة في حقيبتها مخرجة البطاقة: «هاكَ. إنه العنوان».

ـ آه، لوسي. ستحسن معاملتنا فلقد ابتعت منها الكثير من اللوحات. سأتصل بها. ألا تعرفين رقم اللوحة؟

لم تكن لديها أدنى فكرة ولكنها كانت تتذكر موقعها. وبعد بضع ثوان من محادثته لوسي، علمت أن اللوحة لم تعد معروضة للبيع وقد وضعت عليها طابعاً أحمر. ووعدتها لوسي: «سأتركها لك حتى تأتي».

أعادت ليديا السماعة إلى جايك ممتنة: «ستتركها لي».

ـ عظيم. هل نذهب لإحضارها؟

باتت الطريق سالكة مجدداً فلزمهما بضع دقائق فقط للعودة إلى صالة العرض. قال جايك متردداً عند جانب الطريق ومبقياً المحرّك شغالاً:

«اذهبي لتفحصها وللتحقق منها ومن ثم انتظري في السيارة حتى أحل المسألة».

وبعد دقيقتين، كانا يسلكان الطريق نفسها فيما وضعت اللوحة بأمان في صندوق السيارة.

قالت وهي تجيل عينيها: «لا أعلم كيف قمت بذلك. ولا أعتقد أني أود أن أعرف».

فضحك جايك: «لوسي هي صديقة لقريبي أنطوني. اعرفها منذ سنوات. واطمئني لم نكن حبيبين».

غزا الإحمرار وجهها مجدداً فتمتمت كلاماً مبهماً منتظرة أن تنشق الأرض وتبتلعها. هل كانت شفافة وواضحة إلى هذا الحد؟

تركا اللوحة في السيارة فيما صعدا إلى الشقة حيث فتح الباب ووضع الركوة على النار ثم ألقى بنفسه على الأريكة، مربتاً على المقعد المجاور له.

أمرها قائلاً: «تعالي واجلسي واسترخي».

فجلست رافعة قدميها على الطاولة الخشبية وتنهدت بعمق راضية. سألته نصف نائمة وهي تستند إلى الوراء: «ألا يمكننا البقاء هنا للأبد؟».

لكنه لم يرد بل تأملها بعينين تفيض منهما مشاعر الشوق.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ نُصبت القناطر

خمد صوتها وشعرت بالاختناق فجأة. لقد ظنت فعلاً أنها ستكون قادرة على التحمّل ولكنها اكتشفت عجزها عن ذلك. فقد أعادت لها تلك القناطر الذكريات وراح قلبها ينبض بسرعة وتعرّقت راحتا يديها.

قال جايك: «سأذهب معك».

ولكنها كانت شاردة الذهن لدرجة أنها لم تلاحظ نبرة صوته الحادة. كانت فقط سعيدة بوجوده معها وخصوصاً عندما جاءت أمها مهرولة من الحديقة حاملةً دفتر ملاحظاتها بيدها.

ـ ليديا! جايك! كنا نتساءل ماذا بحق الله حل بكما! خلتكما ذاهبان مساء أمس إلى حفلة على أن تعودا إلى المنزل هذا الصباح.

وكذب جايك بنعومة محاولاً تهدئة الأمور فشعر بامتنانها له: «آسف، إنها غلطتي إذ كان عليّ الذهاب إلى المكتب وقد استغرق ذلك وقتاً أطول مما توقعت، لذا كان على ليديا البقاء في الجوار والانتظار. ومع ذلك، لم نضع الوقت سدى لأنها أحضرت هدية لميل وطوم».

ـ كم هو جميل يا عزيزتي! أحسنت طبعاً. اسمعا، سأكون عند القناطر مع منسقة الزهور لمساعدتها فيما طوم وميل في غرفة المكتبة يجريان التغييرات النهائية في المقاعد. لا أملك أدنى فكرة عن مكان والدك ولكن على أحدهم إحضار مفتاح الكنيسة. يجب على جولي التوجّه إلى هناك بعد ظهر هذا اليوم لتنسيق زهور الكنيسة ولكن الساعة قاربت

الخامسة ولم نجد المفتاح بعد لذا كان علينا البدء بالقناطر. حاولنا تعقّب أثر الكاهن ولكنه مسافر كما أن معاونه الذي يفترض أن يحمل مفتاحاً، يعود زوجته في المستشفى والأيام تمر بسرعة.

طمأنها جايك بثقة: «لا تقلقي فسنحل المسألة. اتركيها لنا».

وقاد ليديا إلى السيارة وأصعدها فيها ثم صعد وراء المقود قبل أن يتسنّى لأمها التفكير بأي شيء آخر. وبعد ثوان، كانا على الطريق مجدداً وتنهّدت مذنبة: «إنها مرتعبة. ادركت أنها ستكون على هذا الحال وكان عليّ ألاّ أتركها».

ـ كلا، لا يجب عليك ذلك، ستكون بخير. فهي امرأة منظّمة جداً وتقوم بعمل جبار، سنقوم فقط بإحضار المفتاح. هل من أفكار؟

ـ عاملة التنظيف.

ـ من هذه؟

وهزت رأسها بلا مبالاة: «كان اسمها السيدة فيلدز ولكنني لا أدري ما إذا كانت لا تزال تعمل هناك. سنكتشف ذلك في شتى الأحوال... فلنذهب لسؤالها فهي تقيم في ميل لاني».

كانت السيدة فيلدز مستمرة في عملها وتمنعت في البدء عن تسليم مفتاحها: «ماذا لو احتجت للدخول ولم يكن المفتاح هناك؟ لا نريد للكنيسة أن تكون متسخة نهار الزفاف!».

وهدأ جايك من روعها: «أنا واثق من أنها لن تكون كذلك وسنحرص على إعادته في الموعد المحدد. متى تريدينه؟».

ردت بحذر: «بعد ظهر غد. لا اعتقد أنكم ستنهون عملكم».

وطمأنتها ليديا: «بل سننهيه. سنعيد لك مفتاحك بكل تأكيد في ساعة الغداء، أعدك بذلك».

طيّب جايك خاطرها: «لا تقلقي سيكون كل شيء بخير، سأحرص على ذلك».

ويبدو أنها اقتنعت إذ أشرق وجهها واستدارت نحوه مسلّمة مفتاحها

إليه فدسه في جيبه قبل أن تغيّر رأيها وعادا إلى المنزل.

ـ حسناً؟

سألت ماغي وهي تخرج من المطبخ برفقة جولي وقد بدا عليها التعب. أخرج المفتاح من جيبه وسلّمه لها فشكرته: «باركك الله. علمت أنك تستطيع الخروج بحل».

وأشار إلى ليديا بصراحة: «ليديا هي التي عرفت من تسأل».

فاستدارت أمها نحوها ونظرت إليها بإمعان للمرة الأولى. شعرت بالدم يتصاعد إلى وجهها وتساءلت ما إذا كانت الأمور التي حصلت معها في الساعات الأربع والعشرين الماضية مكتوبة عليه بوضوح.

يبدو أنها لم تكن كذلك أو على الأقل ليست مكتوبة بوضوح لكي تستطيع أمها المشوّشة رؤيتها. قالت ماغي، معانقة ليديا بسرعة: «شكراً يا عزيزتي».

ثم التفتت إلى جولي قائلة: «جيد، يستحسن بنا الصعود إلى الكنيسة والبدء بالزهور. لا أعتقد أنكما ترغبان بالمساعدة في إحضار كل الزهور إلى الكنيسة لكي تستطيع جولي تنسيقها، أليس كذلك؟».

وافق جايك: «مؤكد».

فاعتصر قلب ليديا. آخر ما تحتاجه هو قضاء الوقت في كنيسة البلدة الهادئة والباردة حيث كانت ستتبادل وجايك وعودهما وخصوصاً بعد ليلة أمس. لم تندم على مرافقته إلى السهرة ولكن ثمة حزن عميق في قلبها. لم ترد العودة من لندن، من واحة السلام والطمأنينة في شقته بعيداً عن كل تحضيرات الزفاف، لكن لا مجال للعودة الآن وستبدأ عجلات القدر بالدوران مجدداً.

سيبيع منزله وسيرحل فيما ستظل هنا. ردّ جايك بلطف: «هاي. ربما لن يحصل ذلك أبداً».

فتصنّعت الابتسام: «آسفة. لم أكن رفيقة مسلية».

ـ أنت رفيقة رائعة. لا أعتقد أنني استطيع التكيّف مع شخص يضج

بالحيوية والفرح في هذا الوقت.

أطلقت تنهيدة عميقة ثابتة قائلة: «أستطيع التعامل مع التغيّرات».

واستدارت نحو أمها مستفسرة: «ماذا لو قابلناك هناك أمام الكنيسة خلال بضع دقائق؟».

وقال جايك مضيفاً: «فكرة جيدة، سألقاك مجدداً هنا. ماذا تودين أن تفعلي باللوحة؟».

ـ هل يمكنك تركها في منزلك؟ أريد تقديمها لهما. يمكننا إحضارها لاحقاً أو وضعها على جدار غرفة الطعام نهار السبت المقبل.

وأعطاها حقيبتها، قائلاً وهو يبتعد: «بكل تأكيد».

ولجت إلى الداخل فوجدت ميل وطوم يتسامران بمودةفي المكتبة، وكأنهما نسيا مسألة تنظيم مقاعد المدعوّين، فتنحنحت بصوت عالٍ.

انتفضا شاعرين بالذنب كالأولاد. تذمر طوم: «ليس هناك حرمة في هذا المنزل».

فجالت ليديا بعينيها مذكّرة إياهما بمحبة: «لكل شيء أوانه».

وتمنت ليديا لو أنها وجايك يملكان الحق في إظهار مشاعرهما إلى العلن، وهي لا تقصد في المنزل ولكن... قطعت حبل أفكارها وسألتهما: «كيف تجري الترتيبات؟».

ـ بخير. لقد انتهينا. أين كنتما بحق الله أيتها الشقية؟

وسألت ميل وعيناها تمازحانها: «كانت أمي على أحرّ من الجمر وأبي كان عابساً وقلقاً لتأخركما».

أجابت باستخفاف فيما كان قلبها ينبض بسرعة: «آسفة لتخييب ظنكما. لقد علقنا بسبب اضطرار جايك للذهاب إلى المكتب هذا الصباح ولم يستطع التنصل من واجباته».

همس طوم: «قصة معقولة».

فضربته ميل على خاصرته قائلة: «انهض واحضر لي مشروباً. أحتاج إلى كوب من العصير فأنا أموت عطشاً. ماذا عنك يا ليديا؟».

ـ لا شكراً. عليّ تبديل ملابسي والذهاب إلى الكنيسة لتقديم المساعدة بشأن الزهور.

نظرت ميل إليها وقد امتلأت عيناها بالشفقة ثم سألتها بلطف: «هل أنت قادرة على ذلك؟».

شعرت ليديا بضيق في صدرها وردّت بفظاظة قبل أن تستدير مبتعدة:

ـ أجل، أنا بخير. سأذهب لتغيير ملابسي وسأراكما بعد دقيقة.

صعدت السلالم مسرعة وأخرجت الثياب من حقيبتها وارتدت الجينز ثم عثرت على قميص نظيف في الخزانة فارتدته قبل أن تعود إلى الأسفل. وجدت جايك هناك وقد ارتدى جينزاً وقميصاً وبدا عليه الارتياح والاسترخاء وكأنه في بيته تماماً.

كان يحتسي كوباً من العصير فأخذته منه من دون التفكير بحميمية تصرف كهذا. وسخر طوم مستنكراً: «لقد عرضت عليك واحداً».

ولكن ميل اكتفت بالنظر إليها بعينين فضوليتين ولعلها رأت الكثير.

قالت وهي تدفع جايك خارجاً: «تعال فإنهم بانتظارنا».

وهكذا هربت قبل أن تبدأ ميل باستيعاب ما يحصل من حولها وبوضع الاستنتاجات التي تريدها.

قالت فيما كانا يتجهان إلى الكنيسة: «اسمع. أعلم أنه من العبث محاولة إخفاء التقارب بيننا عن عائلتي ولكنني أفضل ألا يعلموا حقيقة مشاعرنا».

أجاب جايك وقد بدا صوته عنيفاً قليلاً: «لقد استطعت للتو تدبّر أمري».

وتابع قائلاً: «في كل الأحوال، أعتقد أن والدك سيتبيّن الحقيقة منك وأنا واثق من أن ميل تعلم. طوم نزيه جداً، فلو أنكرنا حقيقة مشاعرنا أمامه سيصدّقنا إلا أن البقية هم أقل سذاجة منه بكثير».

لم توافقه الرأي. كانت تظن أن لطوم رؤية أعمق مما يبدو عليه وإلا لسئمت ميل منه.

فأكملت حديثها بعناد: «رغم ذلك، لا أريدهم أن يعلموا».

ـ لا تقلقي، فلن أتبادل القصص مع طوم.

وبدا قاطعاً فأحست بالأسف لأنها لم تقصد ذلك ولكن لم يكن هناك داع لاستكمال هذه المحادثة. على أيّ حال، كانت تلك أمنية تافهة كما لمحّ جايك نظراً لذكاء ميل الحاد.

لقد قامت بذلك لأنها أحست بأن مشاعرهما عنيفة وهشة وأنهما يحتاجان إلى الخصوصية لاكتشافها وليس من سبيل لشيء مماثل مع عائلتها. كانوا جميعاً فضوليين لدرجة لا تحتمل. نقلا الزهور إلى سيارته من سيارة بائع الزهور المكّيفة وما إن تم ذلك، حتى انفصلا للبحث عن إشارات الموقف. فقالت أمها: «يظن والدك أنها في مكان ما في الحظيرة. قد تساعدينني فيما لو استطعت إيجادها».

وغاص قلبها فهذا مؤشر آخر على ما حصل السنة الماضية. دفعها جايك بحزم عائداً إلى السيارة فوضعت حزام الأمان محدقة في الخارج عبر النافذة، عاجزة عن إخفاء مشاعرها. وبعد مسافة قصيرة، توقف عن السير واستفهم: «ليديا؟».

لم ترد فأدارها لمواجهته: «إنها مجرد قطع من الخشب المطلي، يا أميرتي. لا تعني شيئاً فهي من الماضي. إنسي ذلك».

فقالت بصوت مخنوق: «الماضي يعيد نفسه».

ـ أعلم ولكن تجاهلي الموضوع.

أومأت موافقة: «آسفة. أنت بالطبع محق».

حاولت الابتسام فغمزها وقال بهمس: «هذه فتاتي. ستكونين بخير وسينتهي كل شيء قريباً».

وهذا بالطبع كان نصف المشكلة بحسب ليديا.

وفي النهاية، وجدا اللافتات خلف الورشة مكدّسة وراء أكوام من الأخشاب. نظفاها ووضعاها في صندوق السيارة مع المطرقة ثم قاما بتحضيرها في الحقل.

سأل جايك متطلعاً نحو حقل محصود بعناية سيستخدمه الضيوف كموقف: «كم سيارة يتوقعون؟».

ـ آه، ما يزيد عن المئة. يريدون من العمال تسوية الموقف كما أعتقد على الأقل...

تقلص وجهه وتجهم: «هذا ما قالاه السنة الماضية، أعلم».

وانهال على قطعة خشبية بضربة أخيرة من المطرقة ثم استقام قائلاً: «جيد، هذه هي المجموعة».

ـ جلّ ما علينا فعله الآن هو تناول العشاء، فعمتي ماري ستأتي وهي معروفة بعدم قدرتها على الاحتفاظ بآرائها لنفسها. هل ستأتي؟.

وضحك بعمق: «أعتقد أنني مدعو. أعترف بأنني أتشوّق للقاء العجوز التنين».

وسعلت ليديا: «ليست تنيناً عجوزاً فاسمها فقط يدل على ذلك. إنها رائعة ولكنها شديدة الاستقامة. أتفاداها عادة كالطاعون».

كلمة مستقيمة عبارة ملطّفة كما فكرّ جايك، تماماً كعبارة مستقلة التي تطلق على تلك الأرملة الجالسة في المطبخ التي حدجته بعينيها النافذتين مبتسمة وقالت: «إذاً، أنت جايك».

وقيّمته من الأعلى إلى الأسفل مضيفة: «لا بد أنها مجنونة لتدعك ترحل. لقد سمعت عنك فسمعتك مميزة».

رفع حاجبه فسعلت وتابعت تقول: «أجل، أعلم كل شيء عنك. لقد استولت شركتك على شركة صغيرة تخص زوج أختي. كانت تعاني عجزاً ولكنها لم تعد كذلك الآن. إذ تحسنت أحوالها وبات مستقبلها مضموناً ولكنني أخمن أنك لا تقيّد أحداً في العمل».

وأجفل في أعماقه: «أحياناً على المرء أن يكون قوياً للقيام بالعمل الصواب».

ـ غريب. هذا ما قاله نسيبي فهو يكن لك احتراماً عميقاً.

وهمس فيما بدت ابتسامته ملتوية: «أشكرك».

وأردفت مفكرة: «غير أن ليديا رحلت عنك من جهة أخرى. أتساءل عن السبب؟».

وقال بصدق مبتلعاً موجة من المشاعر انتابته فكادت تسبب له اختناقاً: «لا أملك أدنى فكرة».

كانت الحقيقة المطلقة. ما زال يجهل السبب الحقيقي. فقالت العمة ماري: «حسناً، إسألها. هل أفهم أنك سألتها؟».

ونظر إلى البعيد قبل أن يرد: «كان الأمر صعباً فقد كانت في الجانب الآخر من العالم».

ـ وكان الأمر شديد الصعوبة فلم تستطع اللحاق بها لاستدراجها بالكلام؟ لا تقل لي إنك لم تستطع تحمل التكاليف؟

قالت ميل مدافعة عنه كملاك حارس جاء لإنقاذه: «عمتي ماري، لا تكوني فظة معه. كان شديد اللطف معي ومع طوم ولن أدعك تضايقينه».

فتمتمت فيما التقت أعينهما مجدداً: «كما لو أنني قد أفعل ذلك».

ثم نصحته مجدداً لكن بلطف زائد هذه المرة: «اسألها. قد يفاجئك الجواب».

وابتعدت فيما استدارت ميل نحوه وسألته: «عمَ كانت تتحدث؟».

ـ ليديا.

ـ كان علي أن أعلم. فهي لا تستطيع إبقاء أنفها بعيداً.

قال وكأنه يتحدث إلى نفسه: «إنها محقة، محقة تماماً. أين ليديا؟».

ـ لا أدري. في مكان ما، في غرفة الرسم أو في المستنبت الزجاجي؟ إنها جالسة على كرسي في مكان ما، مضطرة لتحمل قريبنا أليكس، يمكنك أن تتلطف وتنقذها.

فحذر: «ابن العمة ماري».

ـ ونقيضها المطلق فهو أكثر الرجال إثارة للملل على الكرة الأرضية. ستؤدي لها خدمة.

عثر عليها وقد بان السأم في نظراتها وهي تلوح بشوكة الطعام في

الهواء فيما كان قريبها أليكس منهمكاً بالأكل ملء فمه.

كان يهمس متآمراً فيما جايك يتأملهما. وسمعه يقول: «طبعاً، لا يمكنني قول المزيد عن ذلك فهذا سري للغاية».

قال جايك بنعومة: «عذراً للمقاطعة. ليديا، أمك تحتاج بعض المساعدة».

فسأل أليكس وقد رفع رأسه قليلاً مستفسراً: «ومن تكون؟».

ـ جاك ديلاني. أعذرنا.

ترك أليكس وقد فغر فاه من المفاجأة وقاد ليديا إلى المطبخ ومنه إلى الباب الخلفي فسألت: «ما كان ذلك؟ في الواقع، أنا لا أمانع ولا أهتم لأنني سعيدة جداً بظهورك قبل أن أهاجمه بشوكتي».

فأكمل بلطف: «وأنا كنت أحسبك تأكلين. لقد التقيت العمة ماري على فكرة».

ـ يا إلهي أنا آسفة.

ـ لا تكوني فهي امرأة مثيرة للاهتمام.

فأردفت ليديا بصوت غير مسموع: «على عكس ابنها... نحن على وشك الحصول على رفقةٍ جديدة فعمي كريغ وزوجته شيللا قادمان نحونا. إنهما بسيطان وقد يشكلان ثنائياً مريحاً، معهما سنشعر بالأمان».

لم يشأ جايك أن يشعر بالطمأنينة. كان يرغب بالتحدّث إلى ليديا، وسؤالها كما كان عليه أن يفعل منذ سنة خلت، مستفهماً عن سبب رحيلها.

ولم تسنح له الفرصة وعندما كانا يتجنبان محادثة، كانا يساقان إلى أخرى وقد خمن أن الجميع يتشوق لمعرفة ماذا يفعله هناك مع ليديا. لا تقتصر حشرية العائلة على أعضاء العائلة المقرّبين بحسب رأيه.

وأخيراً أمسكها من ذراعها وقادها نحو الأسفل ثم أغلق الباب فهمست ضاحكة وقد انقطعت انفاسها: «أنت مجنون. سيفاجئوننا».

ـ لن أقوم بشيء. أود فقط أن أتحدث إليك.

وتحرّك مقبض الباب فصرخ أحدهم: «آسف».

ثم ابتعد فتنهد جايك. لم يكن الوقت أو المكان مناسباً ولكن عليهما أن يتحدثا قريباً جداً فقال: «غداً... هل تستطيعين التنصل لفترة معينة؟ تعالي إلى منزلي لنتحدث».

ـ نحن نتخاصم عندما نتحدث.

ـ إذاً لنتخاصم ولكن علينا أن نتكلم يا أميرتي. ثمة أمور يجب أن أقولها لك ولا أستطيع ذلك فيما عائلتك تطاردنا وتحاول فتح الباب.

وما إن أتم كلامه حتى تكررت محاولة فتح الباب، فتأملها وقال: «أرجوك حاولي المجيء».

ـ حسناً.

وتحرك المقبض مجدداً فقال أحدهم: «هل ثمة أحد هناك».

فردا بصوت واحد بالايجاب ومن ثم ضحكا. وفيما هما يتنصلان من أحد معارفها المتقدمين في السن الذي بدا عليه الذهول قالت: «أنت تعلم ما يعتقدون أننا نفعل».

ورد جايك بنعومة: «سأعود إلى المنزل يا أميرتي فتعالي لرؤيتي في الصباح الباكر».

ـ حسناً.

ـ أهذا وعد؟

قالت بصدق: «أعدك».

إلا أنها لم تأت في الصباح لأن شاحنة متعهد الطعام علقت في الحقل وكان على الجميع التوجّه إلى هناك، وإفراغ الصحون والأكواب والأواني، ومفارش الطاولات، والأفران والشوايات ونقل هذه الأغراض كلها على قاطرة صغيرة، أو حملها على الأيدي مما تطلب ساعات.

ومجدداً ورغم وجودهما معاً، لم تسنح لهما الفرصة أبداً للكلام. وتلقى جايك عند الحادية عشرة اتصالاً هاتفياً من مكتبه ينبؤه بضرورة العودة لأن المدير العام وزوجته قُتلا في حادث سيارة، فوعد الموظفة

المتصلة: «سأكون هناك في أسرع وقت ممكن، تيري. أنا في الطريق».

وجد ليديا تحاول جاهدة نقل صندوق من مفارش الطاولات فحمله عنها ثم علق على ما تنقله باقتضاب: «إنه ثقيل جداً عليك».

وتركه في المطبخ موضحاً لها: «إسمعيني، علي الرحيل فلدي أزمة في العمل لأن المدير العام وزوجته قتلا في حادث سير وقد شرعت أبواب المصاعب أمامي».

قالت وقد بدا الاهتمام على جهها: «لا، أنا آسفة. هل أنت بخير؟».

ـ أجل، أنا بخير. مصدوم قليلاً. هناك الكثير من الأمور العالقة وينبغي علي أن أكون هناك فعلاً. آسف لتركك على هذا النحو.

أومأت، ولثانية واحدة، ظن أنه رأى الارتياح في عينيها ولكنه سرعان ما اختفى فسألته: «متى ستعود؟».

ـ هذا المساء، كما أعتقد. سآتي إلى هنا مباشرة.

ـ لدينا ترتيبات الزفاف.

تباً، لقد نسي لحظات التعذيب المريرة فوعدها قائلاً: «سأكون هنا».

حياها ثم توجّه راكضاً عبر المرج الأخضر.

راقبته ليديا يرحل والندم والارتياح يعتريانها معاً. كانت تريده إلى جانبها لكن مكوثه هنا، ذكّرها بالمحادثة التي يود إجراءها. ليتها تعرف مضمونها ولكنها خشيت أن تعلم فحواها ولم يرقها الجواب.

سأل طوم وهو يقف قربها حاملاً صندوقاً من الخزفيات:

ـ أين يذهب على عجلة هكذا؟

ـ إلى لندن فهناك ضائقة في العمل. لقد قتل المدير العام وزوجته في حادث.

ـ آه، يا إلهي. هل هو بخير؟

وتبعته عينا طوم باهتمام: «قال إنه بخير وبدا كذلك. لكنه مصدوم

قليلاً ربما».

ـ ربما يجدر بي مرافقته.

قالت بحزم: «طوم، لا يمكنك الرحيل. ليس الآن. ستثير جنون أمي. لقد أكد أنه سيعود لحضور التمارين».

ونظر طوم إليها وبدا عليه القلق بعد أن تنسّم شيئاً في صوتها فسألها: «وهل أنتِ بخير؟ بخير فعلاً؟».

ترددت وهي تبتلع ريقها بصعوبة ونظرت إلى البعيد قائلة: «سأعيش، سأتحسن عندما ينتهي كل شيء؟».

لم تكن واثقة من كلامها، فهل كانت تتكلم عن الزفاف أم عن علاقتها بجايك وانتابها إحساس بأنها قصدت الاثنين معاً.

كان نهاراً كئيباً في المكتب. وجد جايك نفسه يعزّي عدداً لا يُحصى من الموظفين، جميعهم من الذين كانوا يحبون جون تروتر وزوجته «إيلين». لقد كان من الأعضاء المؤسسين في هذه الشركة واضطر إلى دفن مشاعره الخاصة ومساعدة سائر موظفي الشركة على التغلب على هذه الخسارة.

كانت بيريل، موظفة الإستقبال حزينة جداً بوجه خاص فلقد واكبته منذ البداية وكان جون تروتر من وظفها في عملها. وتعيّن على جايك اتخاذ الكثير من التدابير لتغطية أعمال جون المتراكمة كما كان عليه تنظيم وقته لمقابلة المرشحين المحتملين لشغل وظيفة جون وفقاً للمؤهلات والخبرة والاحتراف.

قاربت الساعة الخامسة عندما استطاع الرحيل وقد علق في زحمة السير فلم يصل إلا في حدود الساعة السابعة. ركن سيارته خارج الكنيسة، وهكذا، لم يبقَ أمامه وقت كافٍ ليكلّم ليديا قبل الزفاف.

لم يعد واثقاً من أنه يريد ذلك الآن. فبعد صدمته بموت جون، أحس بالغرابة وسرعة العطب وكان آخر ما يود سماعه هو تفاصيل عن ليو وعن مدى محبتها له.

ابتلع الألم الذي أحس به لمجرد تفكيره بهذا الأمر.

صفق باب السيارة وتوجه نزولاً نحو الطريق المؤدي إلى باب الكنيسة.

***

٩ ـ مازوشية الحب

كانت ليديا منهكة القوى، فقد ساهمت في إحضار جميع الحاجيات من شاحنة متعهد الطعام المعطّلة. كان من الممكن أن تكون مهمتها أسهل لو أنهم استخدموا أحد جرارات المزرعة غير أن والدها توقع أن تقضي عجلات الجرار، الغليظة على المرج بعدما أمطرت أمس وقد كان محقاً في ذلك.

على أيّ حال، انتهت المشكلة وانهمك المتعهدون في إعداد الطاولات وتجهيزها استعداداً لليوم التالي. عثرت على كرسي وجلست عليه ثم راحت تنظر من حولها محاولة إبقاء كل شيء تحت مراقبتها.

إنه زفاف ميلاني وسيكون على خير ما يرام.

من المؤكد أنه سيكون مذهلاً. لقد وضعت القناطر ونصبت الخيام فوق الجدران أما الأعمدة فغطيت بأقمشة حريرية لستر الجبال.

للصالة مدخلان منخفضان وأبواب فريدة الصنع حقاً فيما جهّزت جهة واحدة كصالة استقبال حيث يمكن للضيوف ترك معاطفهم. كانت الشمس المشرقة ترسل أشعتها من خلال النوافذ ذات الطراز الجورجي فبدت الأرض كلوحة رائعة.

استمرت جولي في تنسيق الزهور وبدت منهكة القوى إلا أن التحضيرات كانت مستمرة على قدم وساق: أقواس ضخمة تحيط بكل عامود مزدانة بالسوس الأبيض مع أغصان من نبات الخنشار الأخضر

www.elromancia.com

الداكن، ونثرات باللون الأحمر.

وقد زيّنت كل طاولة في الوسط بباقات من الزهور المنسقة. توقفت ميل قربها مرتمية بتثاقل على احدى الكراسي الذهبية وسألتها: «ما رأيك، هل ستجري الأمور بخير؟».

نظرت إلى شقيقتها بذهول: «طبعاً ستجري الأمور بخير. يبدو ذلك رائعاً».

ـ هل أنت متأكدة؟

فردت بحزم وهي تضع مشاعرها الشخصية جانباً: «واثقة طبعاً. سيكون رائعاً».

ـ آمل ذلك فأنا أشعر بالرعب.

ورمشت ليديا: «ماذا؟ من طوم؟».

ضحكت ميل لهذا الاقتراح وصاحت: «لا! لا، بل من الزواج نفسه وليس من طوم أبداً، ليس من طوم فهو ذكي. إنه أفضل ما حصل لي وأنا أعلم أنك لم تخططي لذلك ولكن تركك لنا معاً كما فعلت كان فكرة رائعة».

ضحكت ليديا بعمق قائلة: «يسعدني أن الأمور سارت جيداً لكنني أعترف بأن جمعكما أنت وطوم معاً لم يكن يشغل تفكيري بالتحديد».

بدت الجدية على وجه ميل وسعت إلى يد أختها لتمسك بها قائلة: «أنا واثقة من ذلك. هل أنت بخير؟».

وتابعت ميل قائلة: «أعني بشأن جايك. لم أكن أعتقد أنه سيشارك، عندما بدأت في التخطيط لكل هذا. كان غاية في الأنانية من جانبي أن أقوم بالتحضيرات السابقة نفسها. لا بد أن ذلك صعّب عليك الأمور».

هزت رأسها مستنكرة وشبكت أصابعها بيد ميل متشبثة بها: «لا، لا يا عزيزتي. لم تكن أنانية منك ولكنه يومك المنتظر يا ميل وهذا ما تريدينه. كان هذا دائماً ما تودينه وينبغي أن تحصلي عليه. بعدم الزفاف خسرت جايك».

نظرت ميل إلى الأسفل نحو أيديهما المتشابكة وغطتهما بيدها الأخرى وضغطت: «آسفة. هل أنت واثقة من أنك خسرته؟».

أومأت بالإيجاب قائلة: «يقول إن علينا التحدث وأنا أعلم ماذا يود أن يقول. أمضيت ليلة الأربعاء السهرة معه وهو يريد فقط أن يقول لي الوداع فالمسألة منتهية».

وختمت ميل عنها: «ولكنك لا تودين ذلك».

ـ كلا. لا أريد. أريد العيش معه لبقية عمري غير أن ذلك لن يحصل.

وهزت كتفيها باستسلام وحاولت سحب يدها بعيداً لكن ميل أبقتها في يدها قائلة: «ألا يمكنك التحدث إليه؟».

ـ وماذا أقول؟ أعلم أنك لا تحبني ولكن هل سترضى بي في شتى الأحوال؟

ـ وهل أنت واثقة من أنه لا يحبك؟.

هزت كتفيها مجدداً باستهجان: «لو أنه يحبني، لصارحني بذلك ولكنه لم يفعل ولو لمرة واحدة».

ـ يا للأسف! ومع ذلك، لست واثقة من أنه لا يحبك فالرجال غريبو الأطوار. جايك لا يتكلم كثيراً عن نفسه بعكس طوم المنفتح جداً بالنسبة لمشاعره ولكن جايك يبقي كل شيء لنفسه. لدي احساس بأن مشاعره عميقة جداً وهي مع ذلك ترقد كالمياه الراكدة. أظن أنك قد تكتشفين خلف مظهره الحديدي أنه يحبك فعلاً.

ردت بصراحة: «إذاً لم لم يقل ذلك نهار الأربعاء؟ لم يكن هناك دليل حسي على مظهره الحديدي حينها وأؤكد لك ذلك».

وصرخت ماغي: «حان وقت الغداء، أيتها الفتيات».

نهضت ميل: «جيد، فأنا أتضوّر جوعاً. هيا بنا لنذهب ونأكل فستشعرين حينئذ بتحسن فأنت هكذا، تبدين دائماً تعيسة عندما لا تأكلين».

ورافقتها ليديا، لأنه الأمر الأسهل للقيام به لأنها قد تكون محقة. لم

يتسنّ لهم تناول الفطور وهي تشعر برجفة قوية. وتساءلت ما إذا كان جايك قد بلغ لندن وإذا كان بخير فعلاً.

ترنح أبوها أمامهما وهو ينقل صندوقاً من العصير من العربة خلف الجرّار وتوقف للتحدث معهما.

فسأل: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أومأت الفتاتان وقالتا: «إنه وقت الغداء. ألن تأتي؟».

ـ سرعان ما سأحضر. أريد فقط إحضار هذه الصناديق.

وتجاوزهما فأكملا طريقهما إلى المنزل. جلستا إلى المائدة في المطبخ الهادىء والبارد الذي حافظ على سكينته حتى صول الجميع وتوزعهم في أرجائه. قالت ماغي وهي تحضّر السلطة، والخبز والجبنة بسرعة: «تبدو زهور الكنيسة جميلة. عليّ أن أقول إن اختيار جولي كان موفقاً يا ميل، ألا ترين ذلك؟ آمل فقط أن يكون متعهدو الطعام على مستوى سمعتهم أيضاً».

ردت ليديا بجفاء: «لنأمل ألا يسمموا لنا الطعام انتقاماً مما حصل السنة الفائتة».

فنظر إليها الجميع بذهول وما لبثوا أن استداروا بانزعاج كما لو أنهم لم يجدوا ما يقولونه.

وردت ميل بعد صمت طال أمده: «أستبعد ذلك.. آه، انظر يا طوم، أليس هذان القادمان والديك».

وفجأة، انشغل الجميع بالوافدين الجديدين. وبعد دقائق، حصل اللقاء الذي كانت متخوفة منه إذ وصل أهل جايك أيضاً فساد التوتر مجدداً في الأجواء.

قالت لميل بصوت منخفض فيما كانتا تنظفان الطاولة بعد ساعة من انتهاء الغداء: «أنا واثقة من أنهما يعتقدان أنها غلطتي فأنا مخلوقة مشاكسة».

ـ ربما. لا تشغلي بالك، المهم ليس رأيهما بل رأي جايك.

ـ ليس لدي فكرة عن رأيه.

ـ حسناً. ماذا قال عندما بحثتما الموضوع؟ لقد ناقشتما المسألة لدى عودتكم أليس كذلك؟

هزت رأسها ببطء: «كلا، فكلما تكلمنا، كنا نتخاصم. لا يبدو أننا قادرين على ايجاد الكلمات المناسبة ولا حتى عند البحث في أمور أخرى جدية».

نظرت ميل إليها مصعوقة: «لا أصدّق ذلك. لم تتحدثي معه عن الزفاف... واأسفاه يا أختي لا بد أنك فقدت عقلك! لمَ رافقته إلى لندن؟».

قالت بصراحة: «لأنني لم أرد تفويت هذه الفرصة الوحيدة التي حصلت عليها للهرب من هنا. لهذا السبب، إذا كنت تريدين الحقيقة، لكنني لا أريد قضاء بقية حياتي متسائلة عما هو شعوري حيال جايك».

ـ وما هو شعورك؟

واحمّرت ليديا وقالت بحدة: «ميل!».

وأمسكت الكأس بسرعة فائقة فبررت لها ميل: «كنت أسأل فقط».

ـ إذاً لا تفعلي!

لمحّت ميل بلباقة: «ما كان ينبغي عليك إطلاعي إذا كنت لا تريديني أن أعرف».

ضحكت ليديا بصوت مخنوق وقالت: «أدركت ذلك».

وألقت بمفرش المائدة في الماء متنهدة: «آه ميل، لا أدري. جلّ ما أعلمه أنني أرغب في قضاء بقية حياتي معه وهذا لن يحدث. كان شديد التوتر بعد عودتنا أمس وفي بعض الأوقات في لندن كما لو أنني أزعجته فعلاً. لا أدري فربما لست السبب ولكنني أظن ذلك».

هزت ميل رأسها وهي تعمل ثم قالت ببلادة: «عليكما، أنتما الاثنين أن تتعلما كيف تتحادثا مع بعضكما».

قالت أمها وهي تدخل عائدة إلى المطبخ بصينية تكدست عليها

فناجين القهوة: «هل أنهيتما عملكما؟».

ـ آه لا. ما هذه الكومة؟.

فعانقتهما الأم كل بدورها وهي تقول: «يمكن وضعها في الجلاية. لا تقلقا. شكراً على الجهد الذي تبذلانه. هل أنتما بخير؟».

وضعت ميل ذراعها حول كتفي ليديا لتكمل الحلقة وقالت ماغي وهي على وشك الاختناق: «آه، سأشتاق إلى هذا».

وعانقتهما ميل معاً بشدة ثم خطت مبتعدة وقالت: «كلا. لن تفعلي لأنني سأحضر طوم والأولاد في زيارة دورية لإزعاجك».

قالت ماغي مجفلة: «أولاد؟».

ولكن ميل لوّحت لها بيدها وقالت ضاحكة: «كلا، ليس قبل مرور سنة، أعطنا فرصة فأنا في الرابعة والعشرين».

ـ ولكن طوم في الثلاثين.

مازحتها ميل: «أنا واثقة من أنه سيكون قادراً على تدبر أمره في غضون سنوات عديدة، العجوز المسكين».

فاحمر وجه ماغي وقالت ضاحكة بارتباك قبل أن تعانقها ميل مجدداً: «تعلمين ما أقصد».

عندئذٍ، قالت ميل: «هيا، عليّ الجلوس لفترة قبل أن تخونني رجلاي في الغد».

قالت ليديا وهي تضحك بخفوت: «أجل، فبعد كل هذه الفوضى، لا تستطيع العروس تفويت الزفاف لمجرد حاجتها للاسترخاء».

ثم أردفت تقول: «سأصعد إلى الطابق العلوي للتأكد من أن فستاني معلّق بترتيب فأنا لا أريد أن أبدأ بكيّه في الصباح الباكر! سأعود بعد قليل».

وصعدت السلالم راكضة، تاركة وراءها الأحاديث وضحكات المدعوين وعائلتها. أغلقت باب غرفة نومها وانحنت نحو الثوب متنهدة. كانت تحبهم جميعاً ولكنها ستكون في غاية السرور مع انتهاء الزفاف

وعودة كل شيء إلى طبيعته.

طبعاً باستثناء أن الأمور لن تعود إلى ما كانت عليه، لأن ميل ستكون مع طوم في لندن وسيمنحها هذا إحساساً بالغربة. لقد كانت دائماً هنا باستثناء حين أكملت دراستها الجامعية بعيداً لكنهما رحلتا في الوقت نفسه لذا تشعر بوحشة غيابها فعلاً.

ولكنها على الأقل، بدت سعيدة ولا تستطيع ليديا أن تتمنى لها شاباً أفضل من طوم. كان طيباً، مضحكاً وصبوراً إلى أبعد الحدود. بدا واضحاً أنه يعشقها وأن الشعور متبادل وبنفس القدر بينهما. وفكرت ليديا مجدداً بأنهما ثنائي محظوظ وحوّلت اهتمامها إلى ثوبها المعلّق في آخر الخزانة.

لقد عثرت عليه ليلة أمس عندما كانت تعلّق ثوبها الأزرق وتعمّدت إخراجه هذا الصباح لتكويه.. أزاحته من مكانه وعندما أدارته لمحت شيئاً أبيض لامعاً وراءه.

لا، فكرت ليديا، ليس أبيض، بل عاجياً. إنه لون عاجي شاحب رقيق.

بهدوء وحذر، أخرجته من الخزانة ورفعته نحوها وهي تنظر إليه في المرآة. كان مصنوعاً من قماش الكريب الحريري الخالص ومزيناً بشرائط طويلة عند العنق تنزل بنعومة على الصدر. أما تفصيله فقد صمم ليتناسب مع قامتها فيما تماوجت حافة الثوب في الخلف وراءها فشكلت ذيلاً قصيراً. كانت سترتديه مع طرحة أمها وهي عبارة عن قماش جيد وبسيط ينسدل بنعومة على كتفيها، هذه الطرحة نفسها التي ستضعها ميل في الغد.

ـ ولكنه شديد...

وقالت ليديا مكملة حين عجزت ميل عن إيجاد الكلمات المناسبة لوصفه: «بسيط؟».

ـ إنه ليس فستان زفاف.

ـ بلى، فأنا لا أريد أن أبدو شديدة التأنق!

ـ ولكن بإمكانك ارتداء واحد من تلك الفساتين الجميلة!...

كذلك الفستان المعلّق حالياً في خزانة ميلاني، ذلك الذي سترتديه في الصباح لتزف إلى محبوبها طوم. بلعت ريقها بصعوبة فردّت الثوب إلى مكانه في الخزانة بسرعة خرقاء. يمكنها أن تفكر بأمره المرة القادمة أما الآن فعليها أن تعلّق ثوب الوصيفة جيداً آملة أن تزول الطيّات عند الصباح.

في السادسة مساءً، غادر بعض ضيوفهم وبقي أربعة منهم للعشاء معاً للمرة الأخيرة. وأخيراً، عاد طوم إلى منزل جايك مع أهله فعم الهدوء، فقال ريموند الأب:

ـ أيتها السيدة الشابة. هذه ليلتك الأخيرة في المنزل.

فأومأت ميل ولاح الحزن في ابتسامتها حين قالت: «أجل يبدو الأمر غريباً. أتوقع أن أعود مع طوم في كل عطلة لذا احفظا لي الغرفة!».

ضحك الجميع قاطعين بذلك الجو الكئيب وتحوّل الحديث فجأة إلى الزفاف وآخر التحضيرات اللازمة ومن ثم طبعاً إلى التمرينات التي ستبدأ خلال نصف ساعة في غياب جايك.

وسألت ماغي ليديا: «هل سمعت عنه شيئاً يا عزيزتي؟».

هزت رأسها بالنفي قائلة: «كلا، لا شيء. قد يكون في المنزل، اتصلي ببيته فربما يعلم طوم مكانه».

ـ حسناً. لا فائدة ترجى من القلق. سنبدأ فور ظهوره إلا إذا تأخر كثيراً. سنسأل طوم عن موعد عودته. ريموند، هل القناطر المنصوبة آمنة؟

ـ طبعاً فكل شيء محكم والمولّد يعمل وكذلك الثلاجات التي وضعت فيها العصير وهي رائعة.

ـ علي أن أقول إنها تبدو جميلة. لقد قمتما أيتها الفتاتين بعمل مذهل في التخطيط لذلك.

وتحرّك مقبض الباب فبدا طوم وسأل مبتسماً بتردّد: «هل أستطيع الدخول؟».

وأخبرته ميل: «طبعاً إذ لا يمكنك رؤيتي في الغد فقط».

ـ لم أشأ مقاطعة عشائكم الأخير.

قال طوم كلماته هذه مبتسماً بلطف لعروسه التي أمسكت بذراعه بحنان قبل أن ترد: «أنت لا تقاطع شيئاً».

سألته ماغي: «هل من جديد عن جايك؟».

ـ أجل، لقد علق في زحمة السير وقال إنه سيلقانا في الكنيسة. فكرت فقط بإعلامكم لهذا أتيت مبكراً.

قالت ماغي وهي تضع قبعة العمل مجدداً: «جيد، لنذهب إلى الكنيسة الآن بما أننا مستعدون للبدء بسرعة. تبدأ المراسم في السابعة. أليس ذلك جيداً».

لقد كانت الاستعدادات أكثر من جيدة ولكن ليديا علمت بأنها ستتخطى الوضع. عليها فقط أن تبقي رأسها خالياً وألاّ تفكر كثيراً بالأمر. عندئذ فقط ستكون الأمور جيدة.

وتعالى وقع خطواته على أرض الكنيسة يرجعه الصدى في سكينة المكان. قال الكاهن بابتسامة وهو يشير إليه بالتقدّم: «أدخل، أدخل، لم نبدأ بعد. كنت أناقش بعض التفاصيل. تعلم أين تقف على ما أعتقد؟».

أومأ موافقاً، وألقى نظرة سريعة على ليديا التي كانت ترتعش قليلاً وبدا الخوف والشحوب على وجهها. بدت متعبة ومستنزفة عاطفياً، وكان عليه البقاء هنا من أجلها. أخذ مكانه قرب طوم مراجعين القسم حيث يسلم جايك الخواتم وما يماثلها من أمور. تمرّن طوم وميل على الركوع والوقوف من دون التمسّك بأي شيء وكان عليهما أن يتمرّنا على مغادرة الكنيسة وكان عليه هو وليديا أن يتبعا ميل وطوم إلى الخارج. وهو يقودها برفق أحس بتوترها، بعد أن انتفض قلبها بين ضلوعها، فشعر برجفة تسري فيها. وارتجفت مجدداً فهمس: «هل أنت بخير؟».

فهزت رأسها كمن يحاول جلاء أفكاره وقالت: «لا أعلم. سأكون بخير ما إن ينتهي كل شيء».

لم يرغب في التفكير بالأمر الآن فهو ما زال يعاني من صدمة وفاة جون وإيلين وجل ما يوده هو البوح لها بما يعتمل في نفسه، والبكاء كالأطفال

ولكن ذلك لن يحدث.

قال طوم بعد أن اقترب منه محيطاً كتفيه بذراع واحدة: «هل أنت بخير؟».

أومأ شارد الذهن بسبب ليديا التي انسحبت بعيداً عنه لموافاة أختها فلاحقها بعينيه: «سأتغلب على الوضع. هل والداي هنا؟».

ـ أجل في منزلك مع ذويّ وهم يحيون ماضيهم. إنه مثير للغثيان.

ـ جيد. هل يمكننا العودة وإجراء تمرين سريع في القناطر؟ تأكدوا من أن كل واحد منكم يعرف أين يقف وماذا سيفعل.

هذا ما أعلنته ماغي فأطاعها الجميع وتوجهوا بخنوع إلى سياراتهم لبلوغ المزرعة. تعلّقت عينا جايك بليديا فرآها تصعد إلى سيارة والدها مع ميل ويغلقان الباب بحزم، فهز طوم كتفيه عابساً وسأل جايك: «يبدو أنني مستبعد أنا أيضاً. هل تتلطف بإيصالي؟».

أومأ جايك: «طبعاً. يمكنك ابلاغي في الطريق بما قد فاتني».

ـ لا شيء، فوالداك وليديا تفادوا بعضهم على الغداء. وعدا ذلك لم يحصل شيء في الوقت الحاضر. هل أنت فعلاً بخير؟

فكر بأهله وقد غمرته موجة من الحزن فأومأ: «أجل، أفترض ذلك. إنهم مصدومون قليلاً. وكيف كانت ليديا؟».

ـ ليست بخير. أعتقد أنها تجد الأمرّ شاقاً.

ـ ليست الوحيدة.

قال طوم وهو يضحك بصوت خافت: «هذه الرغبة العارمة غير المتبادلة قد تصبح متعبة جداً. أليس كذلك؟».

فحدجه جايك بنظرة مروّعة ورد بجفاء: «آمل ألاّ تحاول إقناعي بأنك تتكلم عنك وعن ميل».

وضحك طوم: «يا إلهي كلا! كنت أقصدكما أنتما. فبعد مساء الأربعاء، ساورتني شكوك ولكن يمكنني أن أقسم بأن تلك الفتاة أحبتك».

أطلق جايك تنهيدة مثقلة ومرّر يده في شعره ثم قال باعتدال: «ليس

لدي فكرة. أود أن أعتقد ذلك. آمل ذلك. آه يا إلهي، أتمنى ذلك ولكنني لا أعرف، فهي لا تميل إلى الكلام عن هذه الامور. لم تكن ليلة الأربعاء إستثناءً. أفترض أن كل واحد منا يحجب مشاعره عن الآخر».

وسأل طوم بحشرية: «قد يكون ذلك حماقة في هذه الظروف. هل لديك فكرة عن سبب هروبها السنة الماضية؟».

هز جايك رأسه بالنفي: «كلا أبداً. لم نتكلم بالموضوع بل اتفقنا على أن نعتبره من الماضي».

ـ ولكن لا يمكنكما ذلك بحق الله! ليس قبل أن تعلم السبب. حسناً، ربما يمكنك ذلك ولكنني لا أقدر. كنت سأرغب في معرفة التفاصيل قبل أن أخلي سبيلها وقبل أن أدعها تذهب على هذا الشكل وحتى قبل أن أغامر باستعادتها.

وافقه جايك بالقول: «ربما ولكن لم يخطر لي السبب».

هزّ طوم رأسه قائلاً: «لا بد أن هناك شيء ما، سبب جوهري لترحل في توقيت كهذا فهي ليست فتاة طائشة وفقاً لما عرفته عنها ولحديث ميل، غير أنها غادرتهم مرهقين بالفواتير ولم تترك لهم الوقت الكافي لإلغاء الدعوات وهكذا دواليك. لا يتصرف المرء على هذا النحو من دون سبب وجيه».

وتنهد جايك: «أعلم. أتمنى لو أعرف السبب، ولكن هناك جزء مني يفضّل ألا يعرف وأن يكتفي بالإدعاء أن الأمور بخير».

ـ ولكنها ليست كذلك يا جايك ولن تكون حتى تحلّ هذه المسألة. تحتاج للتكلم معها. لم تتكلما أبداً عن أي شيء يعنيكما ومن الواضح أنها مهمة في حياتك وربما أكثر من أي شيء آخر. هل أنا مصيب؟

ابتلع ريقه بصعوبة وفقدت الطريق أمامه معالمها فاعترف بصوت أجش: «أجل، أنت محق».

فقال صديقه ملقياً يداً مواسية على كتفه: «بالطبع أنا كذلك. أعتقد أنكما تدينان لبعضكما البعض بحديث مطوّل من القلب إلى القلب».

فقال جايك بيأس: «ولكن متى يا طوم؟ أعلم أنني أريد التحدث معها وكنت أحاول ذلك منذ صباح أمس ولكن الوقت لم يسنح بعد. حسناً، لم يكن الوقت المناسب أبداً».

- إذاً جد الوقت. خذها إلى لندن حين ينتهي الزفاف وتحدث معها.

وحدج رفيقه بنظرة صفراوية: «والداي هنا ولم ألقي عليهما التحية بعد. علينا أن نجلس معاً، نحن الستة وأن نتسامر ونواسيك عند الحاجة. لا يمكنني الاختفاء هكذا!».

قال طوم ساخراً منه: «أجل، أهلنا أكثر من سعداء في التحدث مع بعضهم البعض ولنكن صادقين يا جايك فأنا بقدر ما أحبك إلا أنني أفضل قضاء بقية الأمسية مع ميل».

وضحك جايك بغرابة: «حسناً، بما أنك أخبرتني. سأرى.. قد لا تود التحدّث إليّ في شتى الأحوال إذ يبدو أنها تتفاداني ويبدو أن الظروف لم تساعدني».

- إختطفها إذاً.

فتح فمه مستنكراً ثم أغلقه قبل أن يومىء برأسه مفكراً: «فكرة جيدة يا طوم، قد أقوم بذلك».

وصلا إلى المنزل فيما كانت ليديا تعاني من عذاب الذكريات المتدفقة. لو لم ترتعب في السنة الماضية، ربما لسارت الأمور على خير ما يرام إلا أنها فعلت وهي على وشك إدراك خسارتها له الآن كما لم تدركها من قبل.

جل ما تدركه أنها أحبته وستحبه حتى مماتها ولكن قد لا يكون ذلك كافياً أحياناً. يحب الناس بعضهم ولكنهم لا يستطيعون أن يحيوا معاً أحياناً، إذ تسود بينهم علاقة رائعة من دون أن يجمعهم الحب.

وأحياناً كما فكرت يائسة، يحب أحدهما الآخر أكثر.

... بدت القناطر مذهلة وتسللت شمس المغيب من النوافذ وسطعت على الأواني والطاولات، والزهور وصالة الاستقبال المجهزة

بالصواني والأكواب والمقاعد المنظمة، ومشاجب المعاطف وغيرها...

وانشغل الجميع بتأمّل ذلك في حين أطل أهل جايك وطوم رؤوسهم من الباب. وسأل والد طوم: «هل نستطيع الدخول لإلقاء نظرة مسبقة؟».

فاستقبلوا على الرحب والسعة. قالت ماغي وهي تسرع باتجاههم وتقودهم إلى الداخل: «مؤكد، أدخلوا. جايك، وصل والداك. أفترض أنه لم يتسنَ لك الوقت بعد لرؤيتهما؟».

فوافقها قائلاً: «كلا، لم أفعل».

وراقبته ماغي يعانقهما بمحبة فقال والده: «آسف بشأن آل تروتر».

ولمحت ليديا مسحة ألم على وجه جايك فقال: «أجل. كانت صدمة حقيقية.. هل يمكننا التكلم في موضوع آخر؟».

إنه يتألم فعلاً كما تنبّهت. مسكين جايك وتمنت ليديا لو يسعها مواساته.

- جيد. لنحلّ مسألة الوفود المهنئة، وبعدئذ يمكننا جميعاً الجلوس واحتساء الشاي. ميل، طوم أين أنتما؟

وردّ طوم خارجاً من خيمة متعهدي الطعام فيما تعلّقت ميل بذراعه.

قالت ماغي وقد أخرجت الجميع: «حسناً ريمون عزيزي، ستقف هناك. كلا ليس على هذا النحو، استدر إلى الناحية الأخرى، أجل هكذا. وليديا، ستقفين هنا وجايك قربك، أرجوك».

أحست ليديا بموجات من الذعر تجتاحها مجدداً. فكل فرد، كل فرد سيأتي إلى هذا الزفاف، علم بشأنها وبشأن جايك، وكان أغلب المدعوين اليوم قد دعوا إلى زفافهما السنة الماضية. والآن، ستضطر إلى الوقوف والابتسام وإلى محادثتهم من دون أن تعلم ما إذا كان مهتماً بها أم لا. استطاعت أن تشعر بوجوده قربها وأن تتنشق رائحة عطره الذي يجعله متميزاً فتاقت إلى الالتفات نحوه والتوسل إليه أن يمنحها فرصة

أخرى. ولكنها لم تستطع، ليس أمام كل هؤلاء الناس وحتى ربما لو كانا منفردين لأنها لم تكن واثقة من رغبتها في معرفة ردّه.

أغمضت عينيها متنفسة بعمق ورددت في سرّها: إنسي نفسك، ركزّي على ما تقومين به. ضعيه تحت المهجر. يمكنك القيام بذلك من أجل «ميل». تستطيعين، تستطيعين ذلك...

وهمست بصوت خافت: «لا أستطيع القيام بذلك».

همس لها بحزم: «بل تستطيعين، تستطيعين القيام بذلك».

وسألت ماغي قلقة: «ما الأمر يا عزيزتي؟ إنه في منتهى السهولة، ما عليك إلا الابتسام ولن يقول لك أياً كان كلاماً معقداً».

ولكن بمَ سيفكرون؟ بمَ سأفكر؟ كان علينا أنا وجايك أن نقف هناك، وليس ميل وطوم وقد أضعت هذه الفرصة. همست وهي تركض نحو الباب: «آسفة. علي الخروج من هنا».

ونادتها أمها لكنها تجاهلتها: «ليديا، عزيزتي، توقفي!».

واسودّ كل شيء أمام ناظريها وراحت أذناها تضجان فجلّ ما استطاعت التفكير فيه هو الرحيل.

أما جايك فلم يتردد. ابتسم بعبوس لطوم واتجه نحو الباب إلا أن ماغي اعترضت طريقه قائلة: «كلا، دعها وشأنها. لقد قمت بما يكفي».

قال بهدوء: «كلا، لم أفعل. لم أقم بما فيه الكفاية وهذه هي المشكلة. سأذهب للقيام بما كان علي فعله منذ سنة. لن تهرب مني مجدداً ليس قبل أن أعرف السبب».

وبلطف وحزم فائقين، أدار ماغي المجفلة وأبعدها عن طريقه قبل أن يخرج من الباب قائلاً بأعلى صوته الذي حمله النسيم إليها فيما كانت تركض: «ليديا انتظري».

وصرخت به بصوت متقطع: «اتركني وشأني».

تباً، إنها تبكي. كان عليه أن يعلم ذلك.

فأضاف بعبوس محاولاً التقاط أنفاسه: «لن أدعك لوحدك يا عزيزتي».

ثم صرخ بصوت عالٍ: «مستحيل، ليس مجدداً يا ليديا توقفي!».

وأسرعت بالركض، متجهة رأساً نحو النهر وتخطت الزهور البرية في المرج فتبعها وهو يعدو بأقصى سرعته فأدركها. التفتت فيما كان يمسك بها وعلقت قدمها بالعشب فوقعت أمامه واختل توازنه فسقطا على الزهور البرية وهو ممسك بها فصرخت في وجهه.

أسكتها هامساً لكنها لم تكن لتطيع أحداً فشهقت: «تباً لك. دعني وشأني».

أمسكها بحزم وثبتها قائلاً: «كلا، لن أتركك وشأنك. ليس قبل أن نتحدث».

ـ لا يمكننا التحدث فنحن لم نتحدث مطلقاً.

فقال بصوت لا يقبل الشك: «بل نفعل وسنفعل ذلك فور اختلائنا بأنفسنا. سأصطحبك إلى لندن».

رفعت وجهها الملطخ بالدموع وحدقت فيه بذهول معلنة: «لندن؟ لا يمكننا الذهاب إلى لندن فالزفاف...».

ـ سنعود لحضور الزفاف، لا تقلقي ولكننا سنجري هذه المحادثة وسنفعل ذلك الآن.

استقام في وقفته وأعانها على النهوض من على العشب الطويل وحملها فيما راحت تركله وتصرخ وهو يتجه بها إلى سيارته.

تناهى إليهما صوت ماغي مستنكراً وصوت آخر ضاحكاً. أهو ريمون؟.

وصاح به طوم: «عليك بها يا جايك».

فأسكته أحدهم غير أن جايك لم تكن لديه نية الإصغاء إلى أي واحد منهم. كانت ليديا معه وإذا ما عاد القرار إليه فستبقى هكذا مدة طويلة، وطويلة جداً...

١٠ ـ الحياة قصيرة على الندم

نامت في السيارة. لم تعتقد أنها قد تفعل غير أنها كانت منهكة من الانفعال وقد رفض الكلام قبل بلوغهما لندن فابتلعت اعتراضاتها وأصغت للموسيقى الناعمة فتغلّب عليها التعب والانفعال تدريجياً. استرخت في المقعد وأفاقت فقط على جايك وهو يحملها من السيارة. سألته وقد هدهدها النعاس: «أين نحن؟».

ـ في لندن.

بدا صوته كئيباً، فقطع عليها الاحتجاج ولم تعد تقوى على الحراك. وبدأ بصيص الأمل يغزو حياتها فلو لم يكن مهتماً لأمرها، لما تكلّف كل هذا العناء!

حملها من دون عناء من السيارة وأغلق الباب بركبته ثم ضغط على جهاز الإقفال المركزي وتوجّه بها إلى الشقة رأساً كطفلة صغيرة. قالت وقد بدأت حواسها تستيقظ: «أستطيع السير».

إلا أنه استمر في حملها فقالت: «جايك لدي ساقان».

ردّ بجفاء: «لاحظت ذلك غير أنني قررت الاستمرار في حملك لذا استرخي وتمددي وتنعمي بذلك».

تتنعم؟ هل هو مجنون؟ كان الجميع ينظر إليهما ويبتسم لهما فيما هو يتابع طريقه من دون اهتمام. لحسن الحظ أنها ترتدي بنطلوناً من الجينز.

وأخيراً، سمعت باب الشقة ينفتح بنعومة ويُغلق وراءهما فحرر

ساقيها وأنزلها باهتمام ونعومة على قدميها.

وتساءلت هل كان تصرّفه عادياً أم أنه فائق الرجولة؟ أم أنه يخشى هروبها مجدداً؟

وأشعل الأنوار فسبحت الغرفة في ضوء ذهبي ناعم وسألها متوجهاً نحو المطبخ: «هل أحضر لك ما تشربينه؟».

أشربه؟ فكرت كم يبدو متحضراً. أوشكت على الانفجار بالضحك ولكنها استبدلت ذلك بشهقة صغيرة وعضّت شفتها.

توقف واستدار على عقبيه محدّقاً فيها باستفسار ثم همس: «ليديا؟».

وعاد أدراجه إليها فحدق في عينيها وعلا وجهه تعبير خائب. تنهد بنعومة ومسح بإصبعه دمعة انحدرت على خدها وقال: «ماذا هناك يا أميرتي؟ قولي لي، أنا موطن الخلل؟».

ولكنّها اكتفت بهز رأسها، لشدة خوفها من الكلمات التي ستحمله بعيداً عنها.

وقادها نحو الأريكة حيث أجلسها وجلس قربها ثم همس بصوت منخفض ومرتعش من الانفعال: «دعيني أبدأ إذاً قبل أن نقول شيئاً آخر ولأنني أريد وضع الأمور في نصابها، ما زلت أحبك. لم أكف عن حبك لمجرد رحيلك وأحبك الآن كما الأمس وربما أكثر مما كنت أحبك في السابق».

وطار قلبها فنظرت بذهول إلى مظهره المتجهم والعابس، لقد تنبهت اليوم إلى أن مظهره لم يكن إلا قناعاً يضعه لإخفاء مشاعره. همست وقد كَبُر قلبها: «آه جايك».

لكنه أسكتها وتابع يقول: «لا أدري ما إذا كنت قد أخبرتك بذلك. كان علي أن أفعل ذلك وإذا لم أقلها يوماً فهذا لأنني لم أجد الكلمات المناسبة لوصف حقيقة شعوري. على أيّ حال، ظننته واضحاً ولكنه ربما لم يكن كذلك. ربما تعيّن علي إطلاعك عليه لذا ها أنا الآن أقوم بذلك. أقولها لك، أحبك وقد أحببتك منذ أوّل مرة التقينا فيها ولا أهتم بشأن

ليو».

فقاطعته وكأنها تسقط من السماء السابعة بسبب هذا الرابط الغريب الذي لا يمت للواقع بصلة: «وما دخل ليو في هذا؟».

ـ لقد أحببته.

ـ كلا. حسناً نعم. ولكن ليس هكذا! ليس كما أحببتك فلقد كان مجرّد صديق.

والتقت عيناها بعينيه المتقدتين بشرارة مجهولة وقال: «مجرد صديق؟».

ـ نعم مجرد صديق، ولم أكن على علاقة برجل سواك.

وأغمض عينيه بقوة مسنداً رأسه إلى الوراء ثم بلع ريقه بتشنج وقال بصوت مخنوق: «أبداً؟».

فأجابت بدهشة: «أبداً».

رفع رأسه ونظر إليها ففضحت عيناه الصافيتان مشاعره بشفافية واضحة فهامت به.

همس جايك بنعومة: «آه يا أميرتي. أحبك كثيراً. كنت تعيساً جداً فقد ظننتك عدلت عن رأيك لدى لقائك بي وظننت أنني لو شجعتك السنة الفائتة ربما لكنت أنا سعيد الحظ. آه حبيبتي، حبذا لو كنت أعلم، لاعتنيت بك كثيراً».

أطلقت ضحكة قصيرة حزينة وقالت: «مزيد من العناية؟ لا أظنك كنت ستهتم بي أكثر. ولكنني آسفة، لقد فعلت ما بوسعك وتصوّرت أنك ستدرك ما أشعر به. كنت ساذجة ومترددة».

قال مداعباً: «سأقع في مشكلة فعلية عندما تحصلين على بعض الخبرة إذاً يا أميرتي لأنك أفقدتني صوابي».

قالت بصوت خفيض هامس: «جايك لا تبتعد عني».

همس وهو يبتسم:

ـ ليديا؟

ـ نعم.

ـ عزيزتي...

ـ ماذا؟

ـ أرجوك ما زال علينا التحدث.

لقد نال منها هذه المرة فأرجعت رأسها إلى الوراء ونظرت إليه في ضوء القمر وقالت بنعومة: «حسناً. أنا أسمعك».

وبدأ كلامه: «السنة الماضية...».

وأحست بالتوتر في صوته فقالت: «أكمل».

قال بصوت حازم: «قولي لي فقط لماذا؟».

تنهدت وردت: «لأنني اعتقدت أننا لم نكن نتزوج للأسباب الصائبة. أو على الأقل، لم أكن أظن أنك تتزوج على هذا الأساس. حسناً، لم أكن أعلم. أعني أن طلبك يدي جاء في معرض الكلام كمزحة فعلاً ولو لم تدخل ميل وتسمعها وتعلنها للكل وبأعلى صوتها، لتنبهت ربما إلى أنني وفي شتى الأحوال لم أوافق أبداً».

ـ أعلم. لم تأخذي الوقت الكافي لكنك بدوت قانعة وسعيدة. ظننت أن الأمور تسير بخير ولكن من الواضح أنها لم تكن كذلك.

فاستنكرت قائلة: «ولكنها كانت كذلك. جرت الأمور بخير بالنسبة إليّ لكنني لم أكن واثقة من أنك عنيت ذلك. وكلما فكرت في الموضوع، كلما غدوت أكثر قلقاً وخصوصاً عندما لم تقل لي إنك تحبني. عندئذ، وخلال التمرينات وعندما كنا نقف تحت القناطر، أحسست برهبة تتملكني. ظننت أنك لم تكن تحبني وأنك تساير الوضع. كيف ستتوقع عندئذ أن يستمر زواجنا لذا كان علي أن أتحدث إليك».

قال ببطء: «ورحلت عنك... آه يا ليديا، لماذا لم توقفيني؟».

ـ لم أستطع! بدوت مرتاحاً لتوقّف عجلات القطار أخيراً كما لو أننا معلقان في باب الحفاظ على كرامتك فقط وكنت أقدم لك أخيراً فرصة للهروب.

قاطعها بهدوء: «لم يكن الأمر كذلك. كان عليّ أن أرحل. لم أكن أعلم إلى أي مدى يمكنني إخفاء مشاعري. لم أبكِ منذ بلوغي سن التاسعة وكنت سأويخ نفسي لو بكيت في العلن».

وردّت بحزن: «آه جايك، آسفة فقد ظننتك لا تهتم. ظننت أنك مرتاح ومتشوق للإبتعاد. لم أكن أظن الأمر كذلك فأنت لم تكن لتفعل، أليس كذلك؟ فالرجال لا يبكون».

وصحّح لها: «أجل يبكون، إذا ما كانوا يهتمون لأمر ما. ولكنني ظننت أنك سعيدة بانفصالنا، وددت أن أتكلم معك، وددت أن أطلب منك أن تتخلي عن هذه السخافة وأن أقول لك إن الأمور ستجري على ما يرام ولكنك لم تنتظري بل تركتني هناك».

ـ لأنني أدركت أنني محقة. راقبتك تزداد توتراً أكثر فأكثر مع اقتراب الزفاف وقد اقتنعت بأنك ستتزوج لمجرد أنك وعدت بذلك وليس لأنك أحببتني. تمنيت أن أكون مخطئة، وأن أقدر على الإبتعاد عن هذه البلبلة والضجيج فور زواجنا، ولكنك شددت اللجام.

فرد بحزن: «لم أقصد ذلك».

ـ آه يا عزيزي، أنا جد آسفة.

استدار ليواجهها بعينيه المصممتين في ضوء القمر وقال فجأة: «ليديا. تزوجيني أرجوك؟ تزوجيني. سيري معي مشوار الحياة المتبقي لنا. أنجبي أطفالي وأعدي لنا جميعاً منزلاً، كوني حاضرة حين عودتي إلى المنزل، فأنا أحتاجك، أحتاج إليك بشدة وأقسم بأنني سأحبك حتى الممات».

تهدج صوته فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «آه جايك طبعاً سأتزوجك».

همس: «شكراً لله».

فارتجفت لفرط تأثرها ونظرت بعمق في عينيه. رأت حزناً دفيناً وتذكرت المأساة التي وقعت في المكتب فقالت بلطف: «آسفة بشأن آل

تروتر».

ارتسم الحزن في عينيه وغمر الألم محياه فتاق قلبها لمواساته. قال جايك بتردد: «كان رجلاً طيباً وكنت أعزّ زوجته. كانا طيبين معي في السنوات الماضية. لقد منحني أول وظيفة لي عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري. عندما تسنّت لي الفرصة، رددت له معروفه ولم يخذلني أبداً. تمنيت فقط لو أنني أخبرته عن مدى تقديري له».

وانحدرت دمعة من طرف عينه فخلفت خطاً فضياً في ضوء القمر، وهمست: «آه عزيزي. أنا واثقة من أنه يعلم».

ثم تابعت:

ـ علينا العودة.

ـ أعلم. وعدت أمك بأننا سنعود قبل الزفاف.

ـ علي أن أكون هناك من أجل ميل.

نظر إليها بشوق ثم نهض قائلاً: «أعلم».

قالت ليديا مبدية إعجابها به: «أحب المنظر».

ونظر عبر النافذة: «إنه جيد. أليس كذلك؟».

قالت وهي ترميه بوسادة: «عنيتك أنت أيها المجنون».

فضحك وهو يقول: «هيا، فلدينا زفاف نحضره وأنا أتشوّق إليه أخيراً».

قالت وقد ارتسمت ابتسامة على وجهها: «وأنا كذلك».

شربا عصير الليمون من الثلاجة وغادرا فيما كانت أشعة الشمس تغمر الغرفة صابغة إياها باللون الذهبي. عندما بلغا سافوللك، كانت ماغي مرتعبة ووجهها مثير للضحك فتفحصتهما بحذر وانزعاج، لكن ليديا حذرتها: «مرحباً يا أمي، كوني لطيفة مع جايك لأنه سيغدو صهرك».

ضرب ريمون جايك على ظهره وقال:

ـ أشكر الله على ذلك فلقد حان الوقت يا بني. أهلاً بعودتك إلى العائلة.

ردّ بنعومة وقد ابتسم لليديا: «شكراً لك... علّي الذهاب يا عزيزتي. سيكون طوم مضطرباً ويجب أن أذهب لألبسه ولأهدىء من روعه. كما أن أمه لن تشكل له عوناً فهي ستذرف الدموع على ولدها الصغير. أراك في الكنيسة».

وفيما هي تودّعة، رأت ميل واقفة على العتبة والدموع تطفر من عينيها.

وسألت: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أومأت ليديا فانفجرت بالبكاء مضيفة: «آه أنا سعيدة جداً».

عانقتها ليديا وبكت هي أيضاً ثم انضمت إليهما ماغي وسعل ريمون مذكّراً بأن هناك زفافاً ينتظرهم.

فصرخت ميل: «آه يا الله، ستتأخر».

وهرعت ليديا إلى الطابق العلوي لاحقة بأختها ومحاولة تهدئتها. إغتسلت بسرعة البرق وسحبت منشفة لفتها على شعرها الرطب، ثم بدلت ملابسها الداخلية وذهبت إلى غرفة ميل مرتدية مئزرها.

ـ حسناً يا شقيقتي. أنا في الخدمة. ماذا تريدين مني أن أفعل؟

ردت ميل وهي تضع كريم الأساس على وجهها: «أخبريني كل شيء عن ليلة أمس لكنني أفترض أنك لن تقومي بذلك».

ـ كلا، لن أفعل.

ـ ولكنني أفهم من هذا أنه يحبك.

ردّت ليديا بنعومة: «آه، أجل. إنه يحبني وسنتزوج ولكنني لا أعلم متى».

قالت ميل وهي تضع ظلالاً ناعمة على جفنيها: «يستحسن بكما الزواج اليوم».

ردت ليديا بحزم: «هذا يومك وعندما ينتهي كل شيء سنتزوج».

ـ حسناً. ولكن إياك أن تجرؤي على الزواج خلال فترة رحيلي. تعلمين أننا مسافران لثلاثة أسابيع، أليس كذلك؟

ـ أجل، أعلم.

وتوعّدت ميل: «سأقتلك إذا فوت زفافك».

ـ لن تفوّتيه ولكن قد تفوتين زفافك إذا لم تستعجلي.

***

كان زفافاً جميلاً وقد وقفت ليديا بجانب العروسين فيما وقف جايك من الناحية الأخرى ولم يلاحظ أحد أن انتباههما مركز على بعضهما البعض وليس على العروسين.

كانت يدا ليديا معقودتين في حضنها فيما أصابعها تتلاعب بخاتم خطوبتها الذي عاد إلى حيث كان. انتظر جايك قدومها إلى الكنيسة وخرج تحت اشعة الشمس وأخذها إلى زاوية بعيداً عن الأنظار ودسه في إصبعها بخشونة قائلاً: «هذا أفضل».

نظرت إلى الخاتم الرائع ببساطته. كان عبارة عن ماسة جميلة كبيراً ولا يحوي شيئاً ليحول الأنظار عدا جماله الطبيعي.

سيليه قريباً خاتم الزواج الموضوع في خزانته في البيت كما أطلعها وهو ملفوف بقماش من الساتان قرب الخاتم الآخر الذي سيرتديه هو. لم تطق الانتظار فقد كانت تتوق لتصبح زوجته وتستقر في منزله الجميل لتخطط لمستقبلها. وعلى رأس القائمة قررت ليديا الحصول على أحد أقرباء جروها القديم والجرو الذي ستحصل عليه أمها وسيعقب ذلك العديد من الأطفال الرائعين، الممتلئين صحة الذين سيرثون عيني جايك الرائعتين وشعره الأسود الكث.

أطفال جميلون، لا يمكن أن يفشلوا إذا ما ساروا على خطى والدهم، فكرت ليديا بهذا بفخر ففاجأتها نظراته نحوها. غمزها فابتسمت غير مبالية بالعيون الفضولية التي راحا يلفتانها وهما يخرجان من الكنيسة، وقد تعلقت يدها بذراعه. وفكرت بأنه لو بدا أكثر وسامة، لا نفجر قلبها من شدة فخرها به.

كانت رائعة. وقف جايك في جوارها لتقبل التهاني، مبتسماً لجميع

www.elromancia.com

الضيوف ومتحدياً إياهم للقيام بتعليق ما. لم يعلقا بصورة مباشرة ولكن قيل الكثير فيما كان الضيوف ينسحبون.

كانت أمها جامدة، تبتسم مجدداً بعد دموع الفرح التي ذرفتها في الكنيسة وقد بدا والدها عصبياً للغاية. أما جايك فلم يكن قد فكر بعد بخطاب ولكن لا يهم فالأسلوب المباشر يناسبه وهو بارع فيه وقد فكر في ما سيقوله مساء أمس لكنه لم يدوّن أيّ كلمة لانشغاله بأمور أخرى.

حسناً، كانت لديه بعض الأفكار وقد استطاع تسجيل ملاحظة أو اثنتين في سياق الحفل.

كان مكانه قرب ليديا وفقاً للتقاليد فجلس واضعاً رجله بحزم قربها ودوّن بعض الأفكار. شرع والدها بالقاء خطابه، فذكر ملاحظات مؤثره ونكات خفيفة فضحكت ميل واغرورقت عيناها بالدموع جراء كلمات المحبة، ثم نهض طوم وألقى خطاباً مرحاً قصيراً ومن ثم حان دور جايك. كان واعياً لفضول كل مدعو فبدأ بنكتة خفيفة ثم قال: «أنا واثق من أنكم ارتحتم جميعاً عندما وصلتم ووجدتم أن الزفاف ما زال قائماً».

ضحك الجميع بعصبية فابتسم مشجعاً وقال: «صديقي هو قطعاً أفضل رجل، أفضل مني بكثير وهو قدير أكثر مني في شؤون القلب كما أنه أكثر دقة مني ولديه حدس يمكنه في هذه الحالة من التنبؤ ما إذا كان جواز سفره سيتعرض للسرقة».

وضجت القاعة بالضحك فاسترخى وتابع سرد أخباره مثيراً قصصاً من الماضي الغابر وأخرى حديثة فجاء على قصة شرائه المنزل.

وفي ختام خطابه قال: «لقد عشنا معاً مدة طويلة وكان صديقاً طيباً وأعتقد أننا، أنا وأمه، جعلناه مهيئاً للعمل في المنزل. وعلي أن أقول إني أظن ميلاني أحسنت الاختيار وإذا كان يعلم مصلحته فأنا واثق من أنه لن يسبب القلق لزوجته ولو لفترة».

ترددت القهقهات مجدداً فأخذ نفساً عميقاً وقال: «والآن تنص التقاليد على أن ألفت انتباهكم إلى الوصيفة وأن أسألكم ما إذا كانت تبدو

جميلة كما أراها. أليست جميلة سيداتي سادتي؟».

ترددت همسات الاستحسان فتوهجت وجنتا ليديا ونظر بعمق في عينيها ثم أكمل: «أعتقد هذا على أيّ حال لكنني لست موضوعياً لأنني أحبها».

تلوّنت وجنتاها باللون الزهري والتمعت عيناها بالدموع فأنبته ضاحكة فيما كان يجلس: «أيها الشقي».

ـ هذا صحيح. لا يمكنك أن تحمليني على الوقوف أمام كل هؤلاء الناس والكذب. أليس كذلك؟

وخفق قلبه وأضاف على عجل: «أم أنك لم تعني ما قلته عندما اعترفت بأنك تحبينني؟».

وبان الجد عليه فجأة فقالت: «قصدت ذلك طبعاً. إياك أن تشك بي، جايك سأحبك للأبد».

ـ إنه وقت طويل.

ـ أعلم.

وشعر بالتوتر يضمحل فابتسم هامساً: «أحبك يا أميرتي».

وقال طوم وهو ينحني أمامه ويتوعد بإصبعه ضاحكاً: «سأنال منك».

ـ هل تريدني أن أجلب «تيدي بير» ليساعدك؟

ضحك بصوت خافت وأرجع ظهره إلى الوراء مجدداً باسترخاء.

ـ اعتبر نفسك محظوظاً.

استعجلتهم ماغي: «هيا، أنتما، عليكما الذهاب وافتتاح الحفل».

وبعد ذلك، بدأت الحفلة من دون رسميات وقد أمضى الجميع وقتاً مسلياً حتى أن ليديا بدت مستمتعة إلى حد معين ولكن جايك خمن أنها اكتفت من الرقص فأخذها بحزم من يدها وقادها نحو الحديقة. اقترحت بدورها: «لنذهب تحت شجرة الصفصاف».

تمشيا إلى هناك يداً بيد ومرا في المكان الذي سقطا فيه على الزهور البرية مساء أمس. ما إن وصلا إلى الشجرة حتى نظرت إليه وكل الحب في

عينيها فشعر بقلبه يخفق بقوة.

همس رافعاً شعرها عن وجهها: «أحبك».

ـ أحبك أنا أيضاً. أتمنى لو أننا قلنا ذلك السنة الماضية فأنا لا أنفك أفكر بكل الوقت الذي أضعناه.

هزّ رأسه طارداً تلك الأفكار من رأسه فالحياة قصيرة للعبش مع الندم: «نحن الآن معاً وهذا ما يهم. فقط أنا وأنت».

قالت متلهفة وهي تدنو منه أكثر.

ـ أتمنى لو نستطيع الزواج هكذا بدلاً من كل هذه البلبلة.

تنهد فلطالما كان يعلم أنها لا تريد هذا الهرج والمرج ولكنه أدرك أنه لا يعرف ما يمكن أن تختاره، فسألها باهتمام: «ماذا تودين حقاً؟ لو امكنك اختيار شيء فماذا سيكون؟».

فقالت: «أحقاً؟ أود أن أتزوج هنا تحت هذه الشجرة وتحديداً الآن في الواقع».

والتفتت من حولها وأضافت: «يمكننا أن نفعل ذلك ولكن ميل قالت إنها ستقتلني لو تزوجنا قبل أن يعودا لكنهما هنا الآن ووالديك ووالدي والكاهن. لم لا نخطو هذه الخطوة ونحصل بذلك على مراسم بسيطة هنا وبرفقتهم فقط».

وأحس بفكه يتقلص فجأة وأخبرها وقد أنارت وجهه ابتسامة خفيفة ودبّت في أحشائه إثارة غريبة:

ـ سيكون الأمر مخالفاً للقانون على أيّ حال من دون رخصة زواج والفحوصات اللازمة.

لوحت بيدها واسكتت ثرثرته قائلة بجد: «هذا لا يهم، فأنا لا يهمني القانون بل ما يهمني يا جايك، هو وعودنا المتبادلة. أحبك وأريدك أن تعلم ذلك».

وتردد لهنيهة ثم ضحك بنعومة: «حسناً. سأتكلم مع طوم لأستطلع رأيه. يمكننا التسلل إلى الخارج خلسةً عن أنظار الآخرين».

ـ عندما يخلد الجميع للنوم، لن يتوقع أحد أن يجدنا في الجوار ويمكننا النجاة بخطتنا إذا أمكننا أن نعود خلسة إلى هنا.

ثمة طريق في الجانب الآخر من الحديقة يمكننا سلوكه ولقاء الكاهن وأهلنا تحت الشجرة.

وافق جايك: «الخواتم بحوزتي في المنزل أستطيع إحضارهما بسرعة. ولكن ماذا عن فستان الزفاف؟».

امتلأت عيناها دموعاً فقالت: «ما زلت أحتفظ به رغم أنه لن يناسبني جيداً فلقد نحفت».

وبدأ يشعر بالإثارة تتزايد فأجاب: «أنا واثق من أنه سيكون مناسباً. لنذهب للتحدث مع طوم وميل».

قالت ليديا قلقة: «لا أريد أن أسرق منهما فرحتهما. يجب ألاّ نقول شيئاً لأي كان».

ـ موافق، فهو يومهما ولكن يمكنه أن يكون يومنا أيضاً. فلنذهب للعثور عليهما لنقف على رأيهما وقد نستوقف الكاهن للتحقق من الفكرة!.

* * *

ـ آه هذا الرداء يناسبك فعلاً وكأنه مصمم لك. لا يمكن أن يخذلك. ليديا تبدين جميلة.

نزعت ميل الطرحة التي وضعتها على رأسها ووضعتها على شعر ليديا ثم ثبتت بعضاً من الزهور البرية التي جلبتها معها في التاج وقالت بسعادة: «مرتان في يوم واحد. لا بد أنه رقم قياسي في سجل طرحة العائلة!».

وضحكت ليديا مقطوعة الأنفاس ثم قالت: «لا أصدق ما نقوم به».

نادى طوم: «هل أنتما جاهزتان؟».

فصاحت ميل: «أجل، أرسل جايك ليحضر الأهل والكاهن. سنذهب من الناحية الأخرى ونلقاهم تحت الشجرة».

ارتدت ميل سترتها متفحصة مظهرها بسرعة في المرآة وابتسمت

ابتسامة عريضة: «أعتقد أنني مذهلة. أحسنت صنيعاً».

ضحكت ميل فشعرت ليديا بارتياح كبير لرؤيتها سعيدة وسألتها مجدداً: «هل أنت واثقة من أننا لن نفسد زفافك؟».

تأملتها ميل معترضة: «قطعاً لا، هيا، لا يمكنك خلعه هكذا».

وأكدت لها ليديا بحماسة: «لا أريد ذلك».

ونزلا السلالم بسرعة إلى الجانب الآخر من الحديقة حيث كان طوم يتقدمهما كالجاسوس. وبعد لحظات وصلا فاستندت إلى ذراع والدها بصورة عجائبية فيما وقفت ميلاني وراءها. وعندما اقتربت من جايك، ناولها باقة من الزهور البرية المعقودة بشريط سرق من زينة الزهور، وابتسم لها فأشاعت ابتسامته الدفء في أعماق قلبها. سألها بنعومة: «هل أنت واثقة؟».

فأومأت: «أجل، أنا واثقة».

وهكذا للمرة الثانية على التوالي في النهار نفسه، استمع هؤلاء الأشخاص أنفسهم إلى وعود الزفاف التي تكررت. ولدى اختتامها، ابتسم الكاهن لهما وقال مرحباً بهما: «تهانينا. آمل أن تسعدا معاً فأنتما تستحقان ذلك. ليباركما الرب. جايك أظن أن عليك أن تحافظ على عروسك».

نظر إليها بعينين ملؤهما الحنان ويشعان بكل الحب الذي يحمله في قلبه.

بعدئذ، عانقتها أمها وقبلتها وكذلك شقيقتها وتلقت التهاني والقبلات من والدي جايك الفخورين. أما والد ليديا فبدا مشرقاً وسعيداً للغاية ثم نظر طوم إلى ساعته قائلاً: «أكره أن أقاطعكم ولكننا سنفوّت رحلتنا إذا لم نتجه فوراً إلى المطار. يستحسن بنا العودة إلى الداخل».

كان الناس ينظرون إليهما وهما يعودان إلى القناطر وقد أدهشهم تبدّل فستان ليديا. وعندئذ وقف طوم على كرسي ملوّحاً فسادت لحظة صمت.

ابتسم للحضور المذهول وأعلن: «سيداتي، سادتي، أريد أن أعلن

لكم عن خبر سار، فبينما الجميع يمرح هنا، حصل زفاف آخر. هو زفاف ليديا وجايك».

وحصلت بلبلة كبرى فيما كان الجميع يطالب بمعرفة ما قد حصل للتو. قال طوم مبتسماً: «هل تريدان أن نقلكما؟».

وانطلقوا مسرعين يلاحقهم طابور من المدعوين صعوداً عبر المرج وصولاً إلى سيارة العرس. وسأل طوم:

ـ هل يمكننا أن نحشر أنفسنا في سيارة واحدة؟

فضحك السائق موافقاً.

وصاحت ماغي: «الباقة!».

فاستدارت ميل إلى الوراء وألقت الباقة فوق رؤوس الحشد.

قال طوم: «عظيم لننطلق».

فانطلق السائق وسط آلات التصوير ولكن الثنائي الآخر كان متوارياً عن الأنظار.

ـ هل تريدان أن نوصلكما إلى لندن؟

وهمس جايك ممسكاً بليديا بحزم: «سيفي منزلي بالغرض. يجب أن أرسل فاكس للسمسار لأعلمه أن تعديلاً طرأ على خططي السابقة».

* * *